رابطة علماء المسلمين
Muslim Scholars Association

سلسلة إصدارات رابطة علماء المسلمين: (٦)

المؤثرات السياسية
على واقع مسلمي الهند

أمير سعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن الحديث عن الهند يستدعي إلى الذاكرة تاريخًا حافلًا منذ الفتح الأول على يد محمد بن القاسم الثقفي، إلى الفتح الثاني على يد السلطان محمود الغزنوي، حضارة إسلامية بازغة وجهود علمية عظيمة قام بها كثير من العلماء والمصلحين، خلال تلك القرون التي حكم فيها المسلمون الهند، وآخرهم السلطان (أورنك زيب) الذي نشر الإسلام في بقية أصقاع الهند، وأعاد للهند عزتها الإسلامية، وعاشت بعده نهضة علمية وأبرزهم الشيخ ولي الله الدهلوي صاحب كتاب (حجة الله البالغة)، والمجدد الكبير في القرن الثاني عشر الهجري، كما نذكر قادة الأمة المسلمة الهندية الذين حاولوا إقامة دولة إسلامية في شمال غربي الهند، مثل إسماعيل بن عبد الغني وأحمد بن عرفان الشهيد، ولكن منذ الاحتلال الإنجليزي وتقريب الهندوس وإبعاد المسلمين، تحول الحكم لطائفة الهندوس القائم اليوم، ومع موجة محاربة الإسلام وظهور التطرف ضد المسلمين، قويت شوكة الهندوس، وقاموا بممارسة أبشع أنواع القهر والقتل للمسلمين.

وفي هذه الدراسة عن مسلمي الهند، قراءةٌ للمؤثرات الداخلية والخارجية التي تركت آثارها السلبية على واقع المسلمين، ثم محاولة الوقوف على بعض ما يمكن فعله لوقف هذا الظلم على

المسلمين، وحتى يعود المسلمون في الهند إلى دورهم الريادي في العالم الإسلامي.

د. محمد العبدة

رئيس رابطة علماء المسلمين

المُؤثِّراتُ السِّياسِيَّةُ
علَى واقِعِ مُسلِمِي الهِنْدِ

أمير سعيد

المُقدّمَة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وبعد..

فالأصابع تختلف في أشكالها ووظائفها، لكنها تتحد في أصلها، وحين تتشابك تصبح قوة يصعب فك عراها، والبنيان تختلف أعمدتها في شرقها وغربها وشمالها وجنوبها، لكن وظيفتها أن تشد بعضها بعضًا.

بالكلمة والصورة، نبه النبي ﷺ إلى ضرورة تماسك المجتمع الإسلامي، الذي ان انتقض ركن منه تداعى بناءه. وإن كان ذلك على مستوى الأفراد والأسر، فإنه ينسحب كذلك على أرجاء العالم الإسلامي؛ فالتاريخ يشهد أن تضعضع دول في الشرق قد تركت أثرها على الغرب، وبالعكس. فانهيار مقاومة المسلمين في الأندلس قد ترك أثره على الهند التي اكتوت بنار البرتغال والفرنسيين ثم الاحتلال المحكم للإنجليز.

وانتهاء دولة المغول بالهند على أيدي الإنجليز قد أفضى إلى استعباد عشرات الآلاف من الهنود، واستخدامهم كوقود حرب في توسعها الامبراطوري الهائل، حتى غدت بريطانيا كما يقولون "الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس"، وأمكنها تحقيق حالة

فريدة في التاريخ، إذ تمكنت من مضاعفة مساحتها من دولة الانجليز إلى الإمبراطورية البريطانية، لتصل إلى ١٠٠ ضعف مساحتها، وكان للجنود الهنود، الهندوس أصلًا، ثم "المسلمين" دور كبير جدًا في التمكين للإنجليز في العالم. بل نصيب كبد الحقيقة إن قلنا إن احتلال الانجليز للهند قد أدى فيما أدى إليه – إلى جوار عوامل أخرى – إلى سقوط الدولة العثمانية بالترافق مع سقوط كثير من دول المسلمين.

تراجع المسلمين قد أثر كثيرًا على مسلمي الهند، وتراجع الهند قد ترك أثرًا بالغ الخطورة على المسلمين في العالم. وقطعًا؛ فإن ذلك لم يتم بسبب غياب مفهوم الأمة الواحدة وحده، بل ثمة عوامل كثيرة قد أدت إلى ما نحن فيه من هوان، وما فيه الهند خصوصًا في حالتنا التي نطل عليها في هذه الورقات، من بينها الخلل العقدي عند حكام وطوائف من المسلمين، وانتشار البدع والخرافات، وتفشي الجهل، والابتعاد كثيرًا عن واجب إعداد القوة لمواجهة الأعداء.. إلى غير ذلك من العوامل.

ازداد العدو قوة، بانتهاب ثروات الهند الهائلة التي سنبين كم كانت تبلغ قبل الاحتلال وبعده، وبتجنيد الهنود لخدمة طموحات العدو المحتل في العالم الإسلامي كله، من أطرافه حتى القلب، في القدس وما حولها، ثم سلّم العدو الهند مقسمة ليزداد المسلمون ضعفًا وبؤسًا إلى بؤس. وما زالوا في تقهقر وتراجع، لاسيما مع نمو

القومية الهندوسية، وتوليها الحكم، لتبدأ بدورها حلقة أخرى من حلقات قمع المسلمين واستلابهم الكثير من قدراتهم ومقدراتهم.

وإذا كنا نطل من خلال هذه الورقات على ملامح هذا التراجع؛ فإننا نجد في طياته ما يمكن أن يهب للمسلمين بعضًا من الأمل في الإصلاح، لأن فهم "المؤثرات السياسية على واقع المسلمين"، وعلى ماضيهم بالطبع، قمين بأن يضيء شمعة في طريق العودة للمجد والعزة، إذ إن فهم أسباب التراجع، وعكسها في الاتجاه الآخر، أو لنقل عكس ما يتيسر على أفراد وجماعات المسلمين، كفيل بأن يدير المقود إلى المسار الصحيح.

هذا، وبعد أن جلنا على جذور المشكلة، ورصدنا الخطط الغربية من تقسيم وترهيب، وتفكيك لعرى المسلمين، وشاهدنا ماضي المسلمين وحاضرهم، ورأينا نمو الشعبوية القومية الهندوسية وطغيانها، ورسمنا خريطة القوى الإسلامية.. لمسنا جهودًا مضنية لعلماء عظماء، علّموا ودعوا، وجاهدوا وقاوموا، وابتلوا وسجنوا واستشهدوا، لكي يبقى للإسلام وجود الآن، ويتركوا للناس بقية من أهل العلم والنهى، تزود عن الإسلام ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا، غير أن الأمر أكبر من قدراتهم المحدودة، في ظل هذا العدوان والطغيان والاستبداد الهندوسي، والتواطؤ العالمي، وثقل الإرث الموروث لدى المسلمين، مما تنوء بحمله الجبال الراسيات. ولهذا؛ فإن القضية الهندية في أمس الحاجة لأن يتنادى إليها كل

عالم ومفكر ومصلح، وكل ناشط ومناضل، لإعادة رسم الطريق، وإشاعة العلم بمأساة المسلمين هناك، والتواصي بين المسلمين بضرورة دعمها ورعايتها والاهتمام بها.

والله المستعان

أمير سعيد
٢٦ محرم ١٤٤٧هـ
٢١ يوليو ٢٠٢٥ م

(١) جُذورُ المُشكِلَة

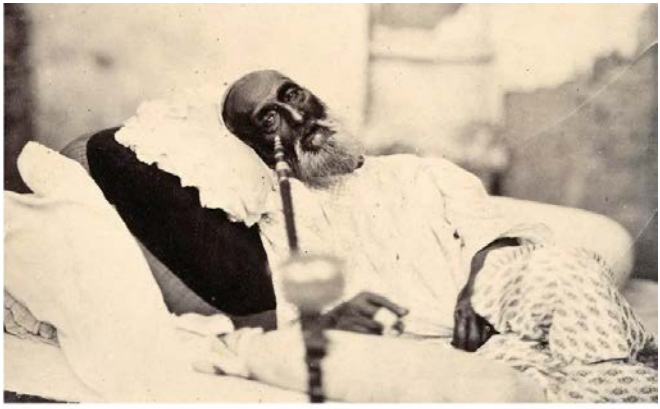

مع سقوط آخر حكام المغول بهادر شاه الثاني عام 1857م سقطت دولة الإسلام في الهند (المكتبة البريطانية)

(نهاية مؤلمة لآخر حكام المسلمين في الهند
وانتهاء عصر الحكم الإسلامي الطويل للهند ١٢٧٣ هـ)

ما حصَدَه المسلمون اليوم من استضعافٍ ومذلَّةٍ في الهند، هو عينُ ما زرعه قادةُ الأجداد منذ قرونٍ، تناوشتْ فيها الأمراضُ الجسدَ الإسلاميَّ؛ فأوهنَتْه تمامًا، وأسلمَتْه لمصيرٍ مشابهٍ لمصير بهادر شاه الثاني، آخرِ حكّام المغول في الهند، التي سقطت في العام ١٨٥٧م، إثرَ ثورةِ الهند الفاشلة على البريطانيين، والذي نفي إلى ميانمار، وسُجن، وقدّم له البريطانيون ثلاثةَ أطباقٍ على مائدته، عليها رؤوسُ ابنَيْه وحفيدِه.

كما في كثيرٍ من بلاد العالم الإسلاميّ، عَمَدَ كثيرٌ من القادة، قبل الانهيار والهزيمة، إلى كلِّ جواهرِ التأصيلِ السياسيّ في القرآنِ

الكريم؛ فنَحَّوْها، واتّخذوا سبيلًا أخرى قادتهم إلى مصائرَ مفجعةٍ: يأمرُهم القرآنُ بالعدل؛ فينشرون الظلمَ في الأرجاء. بالوَحْدة؛ فيتناحرون، ويَفشَلُون، وتَذهبُ ريحُهم. بموالاةِ المؤمنين ومعاداةِ الكفار؛ فيُقلِبون الآية. باتخاذِ البِطانةِ الصالحة؛ فيتّخذون بطانةً مِن دونِهم، لا يَأْلُونهم خَبَالًا. بإعدادِ العُدَّة؛ فيتراخون، حتى يُسلِموا قِيادَهم لأعدائهم. يأمرهم القرآنُ بإقامةِ نظامِهم الاقتصاديّ المستقلّ المتنامي، الذي يُحاربُ الفقر، ولا يجاوزُ الحدَّ إسرافًا وطغيانًا، الجامعِ بين الإنفاقِ الحلال والادخار، والعملِ الدؤوب، والتوازنِ الطبقي؛ فيُجَاوِزُون ذلك كلَّه.

وما الهند عن ذلك ببعيد؛ فلقد سبق الاحتلالُ البريطانيُّ المتدرّجُ للهند كلَّ هذا وزيادةً، فأما الحكمُ فكان مطلقًا تمامًا. يقول سير جون شور: "في عهدِ المغول كانت شخصيةُ الإمبراطور هي كلَّ شيء، فإن كان قائدًا ماهرًا، وإداريًّا قديرًا، ومُصلِحًا نافعًا، وعادلًا مُنصِفًا؛ صَلُحَتِ الرعية. أما إن كان على غيرِ هذه الصفات؛ فسَدَتْ شؤونُ الرعية وأداةُ الحكم، وفشا الظلم، والرِّشْوَة، وقامت الفتن، وعمَّتِ الفوضى، كما كان الأمرُ في آخر عهدِ المغول"[1]. فبالفعل كان الأمرُ كذلك. لم يَستفِدِ الحكّامُ من جهابذةِ العلمِ الشرعيّ؛

١ التقرير الخامس للجنة المختارة في مجلس العموم، كما أوردها سير جون شور «لورد تيجينموث» في ١٧٩٠، ونشرت في تاريخ الإيراد القديم في بنغال. لاسكولي، ص١٩٧، نقلاً عن عبد الله حسين، المسألة الهندية، ص١١٨

فأزاحوهم عن التأثيرِ في عالمِ السياسةِ الهنديّة، إلا لِمامًا؛ فضعُف دورُ العلماءِ خصوصًا، وأهلِ الحَلِّ والعَقْدِ عمومًا، في ترشيدِ الحاكمِ وتصويبه، إلا في حالاتٍ قليلةٍ معدودة. فلقد كان حكّامُ المغولِ مُطلَقِي السُّلطةِ والتحكُّمِ في بلادِهم ورعاياهم؛ إن ضلّوا حدَّ الضلالِ البَيّن، ك "جلال الدين أكبر" الذي حكم معظمَ الهندِ الكبرى (باستثناء الجنوب)، بين العامين ١٥٥٦م و١٦٠٥م، واخترع للهنود "الدينَ الإلهيَّ" المختلَطَ بين الإسلامِ وغيره، وأمر باعتناقِه! فما عارضَه إلا القليلُ، أو رَشَدوا – نسبيًّا – كالسّلطان "أورنك زيب"، الذي أوعز لعلماءِ الحنفية بإصدار فتاوى عالمكير (الفتاوى الهندية)؛ فأبطل في مناطقِ حكمِه بدعًا وخرافاتٍ كثيرة، وأظهرَ السنّة، وحاربَ الرافضة والهندوس، وأقامَ دولةً عادلةً، وحكمَ البلادَ لمدة خمسين عامًا، بين العامين ١٦٥٨م و١٧٠٧م، (بدرجةٍ ما تتميز عن سابقِيه ولاحِقِيه من المغول). وقد كان معظمُ حكامِ المغول ظالمين، وانتشرت في بلادهم الخرافات، والفساد، وتلبَّسُوا بالكبائر العِظام.

ومن بعد أورنك زيب، تداول السلطةَ حكّامٌ ضعاف؛ فتقسّمت البلاد، وضعُفت الجيوش، وانهار الاقتصاد، وانتشر الظلم، وهانت العقيدة. واتخذ الحكّام زوجاتٍ هندوسيّات (كمثلِ آخرِ حاكم)، وقادةً منهم، وتولّى الحكمَ في ولاياتٍ كثيرةٍ حكّامٌ من الرافضة، وقُرِّبوا حتى صاروا سلاطين. وأصاب الحكّامَ الغفلةُ؛

فسمحوا لشركاتٍ برتغاليةٍ وفَرَنْسيةٍ وبريطانيةٍ أن تنشأ وتتوسّع، وتستحوذ، وتنشئ الحاميات العسكرية، مقابل لُعاعةٍ من الدنيا يطمع بها الأمراء. فبدأ البرتغاليون منذ العام ١٤٩٨م بـ ١٦٠ جنديًّا، بقيادة "فاسكو دي جاما"، يغزون بلدًا يبلغ عددُ سكانه مئاتِ الملايين، ثم البريطانيون في عام ١٦٠٠م، إلى أن طرد البريطانيون منافسيهم البرتغاليين والفرنسيين الذين جاءوا من بعدهم بنصف قرن، ثم ما لبث البريطانيون أن سيطروا على البلاد كلِّها بعد قرنٍ ونصف، حتى صيَّروا الأباطرةَ والحكّامَ أُلْعُوبةً، إلى أن كانت النهاية، بعد مائة عامٍ من ذلك، بنفي "بهادر شاه الثاني" إلى ميانمار، منتصف القرن التاسع عشر، مثلما تقدّم.

ولكي تتّضحَ حالةُ المسلمين يومئذٍ من الوهنِ والضعف، مثلما يسجِّلها التاريخُ الحديث؛ فإن الإنجليز قدموا عام ١٦٠٠م، بعد بمائة عامٍ كاملةٍ من إرسالهم جواسيسَهم إلى الهند، وتحديدًا عام ١٥١٠ تقريبًا، إثر انهيارِ قوةِ المسلمين في الغرب، وسقوطِ الأندلس، وانفتاحِ الطرقِ البحريةِ إلى الهند عبر رأس الرجاء، بعد أن كان المماليك يحتكرون تجارةَ الهند، وخُسران المسلمين إلى الأبد طريقَ الهند بعد الهزيمةِ النكراء للأسطولِ المملوكيّ في معركة ديو (١٥٠٩م)، بعد أن دمّرت البحريةُ البرتغاليةُ الأسطولَ المملوكيَّ المتحالِفَ مع سلطان جوجارات الهنديّة.

هزيمةُ المسلمين المماليك أغرَتِ الأوروبيين، وهشاشةُ حكمِ الطوائفِ في الهند، وغرقُهم في النزاعاتِ البينيّة، وضعفُ التسليحِ المغوليّ، وغيابُ العلماءِ عن الصدارة، وجهلُ المسلمين المُريع، الذي سمح لاحقًا بأن تكونَ مناطقُهم في البنغال (بنغلاديش الحالية وولاية البنغال الهندية الغربية)، والسند (باكستان)، هي معاقلَ البريطانيين. وفي الأولى، كان أكبرُ جيوشِ البريطانيين الثلاثة، والتي قادها ٣٩ ألفًا، يسحبون وراءهم ٣١١ ألفًا من المسلمين والسيخ والهندوس، لقتالِ بني جلدتِهم، ثم للمشاركةِ في الحروبِ الخارجية لاحقًا!

كادت عقيدةُ الولاء والبراء تغيبُ، وفشا الظلم، وأُوثِرتِ المناصبُ على تجهيزِ الجيوشِ وتحديثِها، واستُعينَ بالمشركين والرافضة، وخضع المسلمون لهذا الواقعِ المرير، وانقادوا للعدوِّ إلا قليلًا؛ منهم علماءُ أجلّاء، أمثال: سيد أحمد شهيد، وإمداد الله التهانوي، ومحمد قاسم النانوتوي، ورشيد أحمد الكنكوهي، وشيخ الهند العلامة محمود حسن -صاحب الرسائل الحريرية، التي كان يُحرِّض فيها أصحابَه، ومن ثَمَّ المسلمين، على الجهادِ ضدّ الإنجليز، والذي حاول استنهاضَ العثمانيين لمساندةِ الثورة بالهند، فوشَى به "الشريف حسين" بمكّة-، والشيخ البارز حسين أحمد المدني، وغيرهم؛ فاحتُلَّت دولةٌ بجيشِ دولةٍ تبلغ مِعشارَ سكانِها المسلمين، أو ثُلثَ المعشار بجميع أديانها ونِحَلِها.

على الجانبِ الآخر، كان الإنجليز منظّمين جدًّا، واعِينَ بما يصنعون؛ تسلّلوا بالتجارةِ الهادئة حتى أفقروا البلاد، وأمسكوا بخِطام الأمراء وحكّامِ الولايات، الذين غدَوا يتسوَّلون منهم رواتبَهم، ثم جنّدوا وتحصّنوا، وفرّقوا بين الحكّام، ودسُّوا الفتنَ بين المسلمين والهندوس؛ ليقتل بعضُهم بعضًا، وبين الطبقات، وانتظروا قِطافَ الثمرةِ الناضجة؛ فسقطت بين أيديهم.

(٢) التَّقْسِيمُ والقتلُ والتَّهْجِيرُ

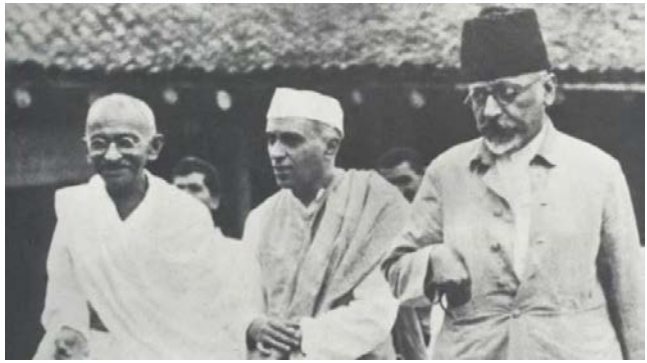

(كان الحضور الإسلامي قبل إعلان الاستقلال واضحاً
وكان لزعماء المسلمين كـ"أبو الكلام آزاد" تأثيرهم، بمثل قوة غاندي ونهرو)

شأنُهم كشأنِ البرتغاليين والفرنسيين، تَعَمَّدَ الإنجليزُ تهميشَ المسلمين، بعد القضاء على دولتهم العريقة في الهند؛ فتلك كانت هي أبرزَ أهدافهم، عِلاوةً على أهدافهم "الاستعمارية" التقليدية، كاستنزافِ ثرواتِ الهند، والسيطرةِ على أهمِّ طُرُقِ التِّجارةِ البحريةِ في العالم، وقد كان لهم ما أرادوا؛ فقد أَغْرَوا بين المسلمين والهندوس العداوةَ الشديدةَ والبغضاء، بعد قرونٍ من التعايُشِ النسبي، إلى الحدِّ الذي كان عنده معظمُ جنودِ جيوشِ المغولِ في أحوالٍ كثيرةٍ من الهندوس! ومضى قرنٌ من الزمان، سالت فيه مياهٌ كثيرةٌ في بحرِ السياسةِ الدولية، من حربَين دَوليتَين عظيمتَين، أدَّتا إلى تراجعِ نُفُوذِ البريطانيين في العالم، واضطرَّتاهم إلى التخلِّي عن

كثيرٍ من طموحاتهم "الاستعمارية"؛ فآنَ للبريطانيين فتحُ أشرعةِ مراكبِ العودةِ بعد تنظيمِ الأمورِ في الهند، فأخذوا على عاتقِهم ألَّا تقومَ للإسلامِ قائمةٌ في الهند، عبرَ استراتيجيةٍ قادت إلى تقسيمِ الهند، وتسليمِ البلادِ للهندوس، بعد قرونٍ من حكمِ المسلمين.

وفي تقديرِ كثيرٍ من الساسةِ والمفكرين المسلمين، في الهند وخارجها، لم يكن انفصالُ المسلمين في باكستان (شرقيةٍ وغربيةٍ) مُفيدًا لبقيَّةِ المسلمين في جمهوريةِ الهند، لكن تلك كانت إرادةً بريطانية، ورغبةَ قادةٍ للمسلمين، بعضُهم اختار ذلك عن سوءِ طَوِيَّة، وبعضُهم بحسنِ نِيَّة. وقبلَ ذلك بنحوِ ثلاثةِ قرونٍ ونصفٍ، تضافرت أسبابٌ كثيرةٌ؛ فأضعفت الحُكمَ الإسلاميَّ في الهند، وسمحت للمُحتلِّ البريطانيِّ أن يتسلَّل إلى شبهِ القارَّةِ الهندية شيئًا فشيئًا من بوابةِ الاقتصاد، حتى تمكَّن من بَسْطِ سُلطتهِ العسكريةِ والسياسيةِ على سائرِ الترابِ الهندي.

ومنذ إعلانِ استقلالِ الهند في العام ١٩٤٧م، وإثرَ عملياتِ إبادةٍ طالتْ في معظمِها ملايينَ المسلمين، وعمليةِ تقسيمٍ عجَّلت إليها عملياتُ قتلٍ مبرمَجةٌ بين الهندوس والمسلمين، أشعلها هندوسٌ بتأجيجٍ بريطانيٍّ، وأحوالُ المسلمين في تراجعٍ وتدهور. فَقبلَ إعلانِ استقلالِ الهند وتقسيمِها، كان أبرزُ زُعماءِ الاستقلال، أمثال: أبو

الكلام آزاد[1]، (رئيسُ حزبِ المؤتمرِ الهنديّ لفترتين، ووزيرُ المعارفِ لمدة ١٠ سنوات)، ومحمد علي جوهر (زعيمُ حزبِ المؤتمرِ أيضًا)، ويحيى زكريا المومني، وآخَرون. فكانت زعامةُ الهند للمسلمين أوَّلًا، ثم صار يتشارك فيها المسلمون -ولو ظاهريًّا في بعضِ الأحيان- مع الهندوس. وتولَّى رئاسةَ الهند ثلاثةُ رؤساء "مسلمون"، وهم: ذاكر حسين، وفخر الدين علي أحمد، وأبو بكر عبد الكلام (رغم كونِ المنصبِ شرفيًّا، لكن له قيمتُه ودلالتُه)، والعديدُ من الوزراءِ البارزين، وعددٌ كبيرٌ نِسبيًّا من النوابِ المسلمين. أمّا الآن، فالانحدارُ متسارعٌ جدًّا في كلِّ هذا التمثيلِ السياسيِّ للمسلمين.

وفي التاريخِ الحديث، نستطيع أن نلمِسَ هذا التراجعَ في وضعِ المسلمين منذ "الاستقلال"، وقبلَه بالطبع، منذ أن سقطت دولةُ المغولِ المسلمين في الهند، ثم الاحتلالُ البريطانيُّ الذي نفَّذ مذابحَ

---

١ حاول الزعيمُ المسلمُ أبو الكلام آزاد أن يجمع المسلمين والهندوس على قضيّةٍ واحدة، فكانت نقطةُ التجمّعِ لدى آزاد، في تشكيلِ الوحدةِ الهندوسيّةِ الإسلاميّةِ لحركةِ الخلافة، هي أنَّ الانقسامَ لم يكن بين المسلمين وغيرِ المسلمين، بل بين أولئك الذين لا يُهاجمون المسلمين (الهندوس)، وأولئك الذين يُهاجمون المسلمين (البريطانيين). وكان يستدلُّ في ذلك بالآيتين الكريمتين: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة ٨-٩] . كان هذا فكرَ آزاد ورغبتَه -ونحن نرصده، ولا نناقشه- في أن يُوجِّه سهامَه نحو البريطانيين، مدفوعًا بتاريخٍ لم يكن فيه العداءُ شديدًا بين المسلمين والهندوس في الهند، لا سيَّما خلال فتراتِ حُكمِ المغولِ للهند.

عديدةً ضدَّ المسلمين، انتقصتْ من قوتِهم، ثم ما أحدثه من تغييراتٍ ديموغرافيةٍ بالتقسيمِ والتهجيرِ والتقتيل.

ففي تأثيرِ التقتيلِ وحده، تتحدث دراسةٌ علمية، نُشِرت في يناير ٢٠٢٣م، عن أن الاحتلالَ البريطانيَّ تَسَبَّبَ في مقتلِ ما يقرب من ١٦٥ مليون شخصٍ في الهند، من عام ١٨٨٠ إلى عام ١٩٢٠. ووفقًا للدراسةِ، التي نشرها عالمُ الأنثروبولوجيا الاقتصادية جيسون هيكيل، في المجلة الأكاديمية World Development، فإن "هذا الرقمَ لا يشمل عشراتِ الملايين من الهنودِ الذين ماتوا في مجاعاتٍ من صُنع الإنسان، تَسَبَّبت فيها الإمبراطوريةُ البريطانية. ففي مجاعةِ البنغالِ سيئةِ السمعةِ في عام ١٩٤٣، مات ما يُقدَّر بنحو ٣ ملايين هنديٍّ جوعًا[١]، بينما صَدَّرَت الحكومةُ البريطانيةُ الطعامَ، وحَظَرَت وارداتِ الحبوب"[٢].

---

١ يُعَدُّ هذا الرقمُ كبيرًا جدًّا إذا ما قورن بعددِ سكانِ بنغلاديش إبّانَ ما يُسمَّى بالاستقلال، وهو ٣٠ مليونًا، بحسب التقديرات البريطانية، أي إنَّ بريطانيا قد قتلت ١٠٪ من سكان البنغال المسلمين في جريمةٍ واحدةٍ من جرائمها، وقلَّلت تَعدادَ المسلمين حينئذٍ بنحو ١٪ من سكان الهند الكبرى. هذا عدا عن الأرقامِ الكبيرةِ الأخرى المذكورة في الدراسة.

٢ حاول عالمُ الرياضياتِ والعلومِ البنغاليُّ الشهيرُ "عناية الله المشرقي"، حينها، تقديمَ الإغاثةِ للمسلمين والهندوس على حدٍّ سواء؛ فحاربتْه بريطانيا، وأوقفتْ حملتَه الإغاثيّة، وصدّرت الغوغاءَ من المسلمين والهندوس يتّهمونه بتحقيق أهدافٍ سياسيّة، وتركوا البنغال للموت.

(تشرشل تعمد قتل البنغال بالمجاعة فحرمهم من الحبوب،
وأحبط جهود المشرقِ الإغاثية)

وتنصُّ الدراسةُ على أنه "خلال تلك الفترة، تسببت السياسةُ الاستعماريةُ البريطانية في حدوثِ مجاعاتٍ متتاليةٍ، أدَّتْ إلى مقتلِ عشراتِ الملايين من الناس، مع انهيارِ متوسطِ العمرِ المتوقع بنسبة ٢٠٪، وهو تدهورٌ في صحة الإنسان ربما لم يسبق له مثيل في تاريخ شبهِ القارة الهندية الطويل من الحرب والغزو[١] وتحجُبُ بياناتُ الناتجِ المحليّ الإجماليّ هذا الفقرَ، وتدل بدلًا من ذلك على تحسُّنٍ كبيرٍ في الرفاهيةِ الاجتماعية"[٢ ٣].

---

١ مايك ديفيس، المجازر الفيكتورية المتأخرة: مجاعات النخبة وصنع العالم العالم الثالث، ص ٣١٢ .

٢ جيسون هيكيل، في المجلة الأكاديمية World Development، ولا يُثبِتُ ذلك أنَّ تلك المجاعاتِ إنما استهدفتِ المسلمين تحديدًا دون غيرهم، إلا أنَّ ما حصل في البنغال، وما تُعضِّدُه الشواهدُ الأخرى في دولٍ أخرى كثيرةٍ ممّا احتلتْها بريطانيا، يضعها في دائرةِ استهدافِ المسلمين، والعملِ على تغييرِ ديموغرافيا الهند لغيرِ صالحِهم، ما بين التقسيم، والتهجير، والمذابح، والمجاعاتِ المتعمَّدة.

٣ يراجع في ذلك:

https://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S٠٣٠٥٧٥٠X٢٢٠٠٢١٦٩#b٠٢٤٥

ولقد عملَ التقسيمُ على إضعافِ قوةِ المسلمين الهائلةِ في شبهِ الجزيرةِ الهندية، مثلما عملَ التهجيرُ، خارجَ الحدودِ وداخلَ حدودِ الهند الحالية، أيضًا على ذلك. فمن جهةٍ، حَمَلَ التقسيمُ ترخيصًا لفكرةِ الهندوتفا (اليمينيةِ الهندوسيةِ)، ومَنَحَها وقودًا لإشعالِ المذابحِ والمواقف، حيث لم يُؤدِّ ذلك إلّا إلى تحفيزِ الطائفيةِ الهندوسيةِ على إيذاءِ المسلمين في الهند. ومن جهةٍ أُخرى، كانت طريقةُ التقسيمِ ذاتُها، وما نجم عنها من تقطيعٍ مدروسٍ للجسدِ المسلمِ خصوصًا، والهنديّ عمومًا، بحيث يخلِّفُ مشاكلَ جَمَّة، من أبرزِها: وجودُ دولةِ باكستان الشرقية والغربية المنفصلتَين عن بعضِهما البعض، بما يؤدي لانفصالِهما الحتميّ، وعدمِ وجودِ أيّ أرضٍ مُوصِلةٍ بينهما، مع أن ذلك كان ممكنًا، وكذلك إيجادُ قضيةِ كشميرَ المتنازعِ عليها، وهي المشكلةُ الحدوديةُ التي فجَّرت ثلاثَ حروبٍ بين الهند وباكستان، وغذَّت الشعورَ القوميَّ الهندوسي. وكذلك كانت طريقةُ الهجرةِ والتهجيرِ الخارجيّ (لنحوِ ١٤ مليونًا إثرَ التقسيمِ إلى باكستان شرقيةٍ وغربيةٍ، يُمثِّلون نحو ٤٪ من سكان الهند الجديدة حينها تقريبًا).

العواملُ المؤثرةُ على واقعِ المسلمين كثيرةٌ، وما تقدَّم ليس سوى جذورِها ومجرَّد إشاراتٍ إليها، ونؤجِّلُ حاضرَها لحلقةٍ أُخرى. ومن المهمّ أن يُستخلصَ منها الدروس؛ فمنها ما يمكن تدارُكُه، ومنها ما قد يَتعذَّر، ولا نَعدِمُ مع ذلك فائدةً في تدارُكِ صُوَرٍ أُخرى من

أحوالِ المسلمين؛ فمثلُ هذه التجاربِ كثيرًا ما تتكرَّر بحذافيرِها في مناطقَ أُخرى من عالمِنا الإسلامي، وقليلًا ما يُنتبَهُ إلى تكرارِها هذا؛ فيُلدَغُ البسطاءُ من الجُحرِ الاحتلاليّ مرَّاتٍ ومرَّات، ويقعونَ في فِتَنِ النفسِ والمالِ والسُّلطاتِ مرَّاتٍ أُخرى.

(٣) التَّفْكِيكُ والتَّنْحِيَةُ

مع التقسيم، كانت المذابحُ التي سقط معظمُ قتلاها من المسلمين، لا سِيَّما في البنغال والبنجاب، وفيها تقطَّعتْ أواصرُ المسلمين، وتُرِكُوا أيتامًا، كأقليّةٍ ضعيفةٍ في الهند، وأُسلِمتْ باكستان (باكستان وبنغلاديش) لنظامَيْنِ عسكريَّيْنِ مواليَيْنِ لبريطانيا، بعد ربعِ قرنٍ تقريبًا من الوَحْدةِ الزائفةِ بينهما.

وقد كان من سيِّئات التقسيم ما يلي:

اعتسافُ التقسيم ليُضعِف شوكةَ المسلمين، فلا هو تماهَى مع التاريخِ الذي تشكّلت فيه ممالكُ مسلمةٌ في الشمال أكثرَ منها في الجنوب؛ فتقسّمَت البلادُ على هذا النحو، ولا هو منح المسلمين دولةً موحَّدةً قويّةً، مثلما فَعَل للهندوس.

تسبّب التقسيمُ في إفقار البنغال، بعد أن كانت بلادُ البنغال من أغنى مناطقِ الهند؛ ما جعلها بوابةَ الاحتلالِ البريطانيّة الأولى، ومقرَّه الأساسيَّ؛ ففُصِلت الصناعةُ في الشرق (البنغال) عن التصدير والتجارة في الغرب (البنجاب).

نتج عن التقسيم دولةٌ شرقيّة (بنغلاديش) فقيرة، بعد أن كانت غنيّةً من قبل، وأُحيطت بالدولةِ الهنديّة من حدودِها الثلاث، ما جعل النفوذَ الهنديَّ فيها كبيرًا. (وقد اتّضح مؤخّرًا قوّةُ وفعاليّةُ هذا النفوذِ بجلاء، مع رحيل ديكتاتورة بنغلاديش "حسينة واجد" إليها، ثم إغراقِ بنغلاديش بفتحِ السدودِ الهنديّة باتجاهها فجأةً، عِلاوةً على الكثير من الدلائلِ والبراهينِ على ذلك النفوذ).

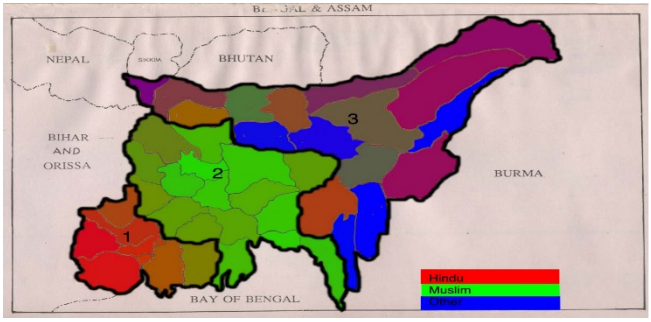

(منحت المنطقة "٣" للهندوس لتطوق بنغلاديش "٢" رغم أن نسبة المسلمين فيها الأعلى مقارنة بالهندوس والبوذيين وغيرهم)

لمحاصرة بنغلاديش، اعتُبِرَت المناطقُ الشرقيّةُ لها مناطقَ هنديّة، رغم أنَّ كُلًّا من المسلمين والهندوس لم يكن أحدُهُما يُمثِّل أغلبيّةً مطلقة؛ فاعتُبر كلُّ وثنيٍّ قبَليٍّ، وكلُّ سيخيٍّ، وكلُّ "مسيحيٍّ"، هو هندوسيًّا بالضرورة، وبالتالي حوصرت بنغلاديش شرقًا بـ "آسام" الهنديّة، وغربًا بـ "بنغال" الهنديّة. وتكرر الأمرُ في بعضِ الولاياتِ الأخرى كذلك، بهذه الطريقةِ الظالمة.

حُرمت باكستان من امتدادِها البنجابيّ، كما حُرمت من ضمّ جامو وكشمير، وبالتالي أُضعِفَت الدولةُ الوليدةُ كذلك عمدًا.

ادَّعى بعضُ الجنودِ والصحفيّين البريطانيين الذين شهدوا معسكراتِ الموتِ النازية، أنَّ وحشيّةَ التقسيمِ كانت أسوأ[1]، فوفقًا للتقديرات الغربية؛ فقد قُتل نحو مليون هندي (معظمُهم من المسلمين)، وهُجِّر نحو ١٥ مليونًا آخرين إبّان التقسيم. (وهذه أرقامٌ تبدو خجولةً نوعًا ما، بالنظرِ إلى الأرقامِ المحليّةِ التي يُردِّدها المسلمون المعاصرون هناك).

مهَّدَتْ لندن لتقسيم الهند، ومهَّدَتْ معها لتحويلِ الدَّفَّةِ من المسلمين إلى الهندوس، ونجحت في أن تحشُرَ المسلمين في دولةٍ مجزَّأة، بينها مئاتُ الكيلومترات، مرشَّحةٍ للانقسام، وقد حصل ذلك في العام ١٩٧١م، (حينها وقف العلماءُ الربّانيّون أيضًا ضدّ تقسيم باكستان إلى دولتين؛ فاتُّهِمُوا بالخيانةِ العُظمى، وأُعدِموا على يد حسينة واجد)، بينما حصل الهندوسُ على دولةٍ فتيةٍ واعدةٍ، موحَّدةٍ، وممتدّةِ الأطراف.

---

١ مقال "الانقسام الكبير" لويليام داريمبل، نيويوركر الأمريكية ٢٠١٥/٦/٢٢م

(٤) الخُطَّةُ والتَّنْفِيذُ

وفي التمهيد، حصلت خطواتٌ، كان منها:

النقلُ التدريجيُّ لدفَّةِ التحكُّم في الدولةِ الهنديةِ من المسلمين إلى الهندوس، عبر تهميشِ نُخبةِ المسلمين، وتسويدِ الهندوس، وتسليمِهم المناصبَ السياديَّةَ الحسَّاسةَ في الدولة، عسكريًّا، وأمنيًّا، وقضائيًّا، وعلميًّا.

تصفيةُ العملِ المقاوِمِ المسلم، وقد تمَّ إعدامُ ما لا يقلُّ عن ٢١ ألفَ مسلمٍ شَنْقًا فقط خلالَ الحقبةِ البريطانية، كثيرٌ منهم من فئةِ العلماءِ والدُّعاةِ المجاهدين العاملين.

إبرازُ شخصيةٍ علمانيةٍ إسماعيليَّةٍ، هي "محمد علي جناح"، ليُصبحَ واجهةَ المسلمين في تفاوُضِهم مع البريطانيين، إلى جوار الهندوسيَّيْنِ: غاندي ونهرو، حيث كان الأولُ منهما يُعدُّ قائدًا "رُوحيًّا"، يَسبِقُ اسمَهُ كلمةُ "المهاتما"، بما تحمله من دلالةٍ دينيةٍ (زعامة روحيَّة). فيما كان "جناح"، الشيعيُّ الإسماعيليُّ، علمانيًّا مُتشدِّدًا، يقول عنه المؤرخُ البريطانيُّ المتخصصُ في الشأنِ الهندي، ويليام داريمبل: "كان يشرب الويسكي، ونادرًا ما كان يذهب إلى المسجد، اختار الزواج من امرأةٍ غيرِ مسلمة، وهي ابنةُ رجلِ أعمالٍ

باريسيّ. وقد اشتُهِرت بارتداءِ ملابسِ السَّاري الكاشفة، كما اشتُهِرت بإحضارِ شطائرِ لحمِ الخنزير لزوجها في يومِ التصويت"[1].

تسميمُ الأوضاعِ الأمنيةِ، وتأجيجُ الصراعِ بين كتلتَين دينيَّتَين (المسلمين والهندوس)، شهدت القرونُ الماضيةُ تعايشًا متزنًا بينهما إلى حدٍّ كبير، وقد جرى تخويفُ كلا الفريقَينِ من الآخَر، وبثُّ الشائعاتِ وتسميمُ الأجواء، وتركُ الأمورِ تنفلت (كما في مذبحةِ كالكوتا)، حيث تأخرت الشرطةُ كثيرًا عن وقفِ التراشُقاتِ بين المسلمين والهندوس، حتى حصلتِ المذابح، ولم يتدخَّلِ الجيشُ إلا بعد فواتِ الأوان، لوضعِ المسلمين أمامَ الأمرِ الواقع، وهو الاندفاعُ (من البعضِ) نحوَ الانفصالِ المُزري.

الإبعادُ المُمنهجُ لدُعاةِ الوَحْدةِ عن الصَّدارةِ في كلا الفريقين، لا سِيَّما المسلمين، وكان الدورُ الأكبرُ للعلماءِ في رفضِ التقسيم، وكذلك الزعماءُ الحقيقيُّون للمسلمين من الساسةِ والحقوقيين؛ فأُبعِدَ قادةُ "ندوة العلماء"، وخصوصًا "الشيخَ المدنيَّ" ورفاقَه وتلامذتَه، و"أبو الكلام آزاد"، وتُرِكَ البابُ مُشرَعًا لدُعاةِ التقسيم، الذين رعَتْهم بريطانيا، وصَدَّرَتْهم للجماهير. وبإبعادِ العلماء، صار المسلمون أيتامًا بلا زعامةٍ حقيقيةٍ تقودُهم إلى الخيرِ والصلاح. وتصدَّرَ "جناحُ" الإسماعيليُّ المشهدَ، ومع ذلك، فحتى "جناح" لم

---

١ المصدر السابق

يبدُ راضيًا عمَّا حصل! فقد جرى التقسيمُ بشكلٍ متسرّعٍ جدًّا، وأعلن اللورد لويس ماونتباتن، القادمُ إلى دلهي بصفتهِ آخرَ نائبٍ للملكِ البريطانيّ -وكانت مَهَمَّتُه تسليمَ السلطةِ والخروجَ من الهند في أسرعِ وقتٍ ممكن- عن موعدٍ مُبكّرٍ للتقسيم و"الاستقلال"، قبل موعدِه بعشرةِ أشهر، وتمَّ الضغطُ على طرفِ المسلمين تحديدًا للقبول. وقَبِلَ جناحُ "الدولةَ المقطوعةَ التي مُنِحَت له -شريحةً من أقصى شرقِ الهند وغربِها، تفصلُ بينهما ألفُ ميلٍ من الأراضي الهندية- مهزلةً مُشوَّهةً ومُتآكِلةً" للأرضِ التي حاربَ من أجلِها. وحُذِّر من أن تقسيمَ البنجابِ والبنغال "سيزرعُ بذورَ مشاكلَ خطيرةٍ في المستقبل""[1]. ومع ذلك، فقد وافق على نحوٍ مُريب، لم تُعرفْ أسبابُه حتى الآن!

ولقد صارت من بعدِ ذلك الطامَّةُ الكبيرةُ على المسلمين؛ فبدلًا من أن تقودَ دولةٌ مسلمةٌ كُتلةً مسلمةً، تُقَدَّر اليومَ بنحو ٧٠٠ مليون مسلمٍ هندي، كان سيكون لهم أثرٌ كبيرٌ في الهند (ما بين ٣٥ – ٤٠٪ من تَعدادِ شبهِ القارةِ الهندية)، وفي العالمِ كلِّه، صاروا أقليةً تائهةً مستضعفةً في الهند، أشبهَ ما يكونون بطبقةِ الداليت (الطبقةِ المنبوذةِ الدنيا في النِّحلةِ الهندوسية)، ودولةٍ هشَّةٍ ضعيفةٍ لا تملكُ كثيرًا من مقوماتِ النموِّ والازدهار، بعد أن كانت تملكه

---

١ وليام دارمبل

(بنغلاديش)، المحكومةِ بنظامٍ عسكريٍّ مُستبِدٍّ منذ الانفصال، وأخرى تُعاني تهديدًا مُزمِنًا من الجارةِ الكبرى الهندية، وتستقي من هذا العداءِ مبررًا لتحكُّمِ العسكرِ المرتبطين بالولاياتِ المتحدةِ الأمريكية في الحياةِ السياسيةِ المُضطربة -أيضًا- على الدوام.

ومن المهمّ القول: إن فلسفةَ تقسيمِ الهند، ومِن ثَمَّ تسليمَ الجزءِ الأكبرِ منها للهندوس، تمَّت على خلفيةِ حكمِ الأغلبيةِ الديمقراطي، باعتبار أن حكمَ المسلمين للهند هو ضدُّ إرادةِ الأغلبية. لكن هذه الفلسفة لم تقُمْ على أُسُسٍ ديمقراطيةٍ بالأساس؛ فمعلومٌ أن تقسيمَ الهند لم يأتِ عبرَ استفتاءٍ حقيقيٍّ لتقريرِ المصير لكلِّ ولايةٍ من ولايات الهند. وكمثالٍ: فإن إمارةَ "حيدر آباد" المستقلة، ضُمَّت قسرًا بغزوٍ عسكريٍّ هنديٍّ لها، بعد "الاستقلال" بثلاثِ سنواتٍ كاملة. وكذلك لم يكن القادةُ الذين قرَّروا الانفصالَ من الجانبين مُنتخبِينَ. وبالتالي؛ فإن تلك الحُجَّةَ داحِضَةٌ، إذ لم تُعرفْ ماهيةُ إرادةِ الشعبِ الهنديّ الكبير على وجهِ الدقة أبدًا حينئذٍ، ولا خياراتُهم التي كانوا سيفضِّلونها لو خُلِّي بينهم وبين حريةِ اتخاذِ أخطرِ قرارٍ سياسيٍّ مرَّ على الهندِ الجديدة.

ومعلومٌ أن بريطانيا ربما كانت الدولةَ الأكثرَ هدمًا للعالمِ الإسلامي في العالم كلِّه، منذ أن ابتُلِيَ العالمُ بإمبراطوريتها التي "لا تغيبُ عنها الشمس"، كما يُقال. ومعلومٌ أنها تمتعتْ بقدرةٍ كبيرةٍ على التخطيطِ وتنفيذِ مشاريعِها، لكنَّ ذلك لم يكن ليصلُح أن يكون

مِشْجَبًا يُعلِّق عليه المسلمون الهنودُ أخطاءَهم هناك؛ فقد كانت أمامَهم فُرَصٌ كثيرةٌ لم يستغلوها، وانهزموا أمام أعدائهم، فلم يكن غريبًا أن يؤولَ حالُهم إلى ما آلَ إليه. يقولُ ربُّنا عزَّ وجلَّ: ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1]. قال الطبري: قل لهم: أصابكم هذا الذي أصابكم من عندِ أنفسِكم، بخلافِكم أمرى، وتركِكم طاعتي، لا من عندِ غيرِكم، ولا من قِبَلِ أحدٍ سواكم[2]، فما حَصَلَ لم يَكنْ إلّا حَصادَ أفعالِ المغولِ ومَن كانوا قبلَهم؛ فالأسبابُ كثيرةٌ جدًّا لهذا التراجعِ والانْهِزامِ، لكنْ في الجُملةِ، لم تَهتمَّ المَمالِكُ المُسلِمةُ الهنديّةُ غالبًا بالتَّعليمِ الإسلاميّ الحقيقيّ، ولم تُحقِّقِ العَدالَةَ، ولم تَبْنِ جُيوشًا حديثةً، ولم تَهتمَّ بالاقتصادِ الإسلاميّ وتَنميتِه، ولم تَنشُرِ الدَّعوةَ الإسلاميّةَ بينَ الهندوسِ والسِّيخِ، ولم تَقُمْ بجُهدٍ مذكورٍ لِنَشرِ اللُّغةِ العربيّةِ (في أقلَّ من خمسينَ عامًا من حُكمِ الإنْجليزِ أصبحَ للُّغةِ الإنْجليزيّةِ حُضورُها بينَ النُّخبةِ المُتعلّمةِ في البلادِ، فيما أمضى حُكّامُ المسلمينَ قُرونًا في الغفلةِ!).

---

١ آل عمران:١٦٥

٢ تفسير الطبري (٣٧٢/٧)

لم يَكترِثِ الحُكّامُ المغولُ بتحقيقِ عَواملِ النَّهضةِ الإسلاميّةِ، ورَكائزِ القوّةِ والمناعةِ؛ فكانَ منَ اليسيرِ جدًّا على الغُزاةِ أن يَقودوا قارّةً كاملةً يَبلُغُ تَعدادُها الآنَ نحوَ مِليارَيْ نَسَمةٍ (الهندُ، وباكستانُ، وبنغلاديش، وأجزاءٌ من أفغانستان، وميانمار، وغيرها)، ببضعةِ آلافٍ منَ الجُنودِ، وبضعةِ مِئاتٍ من رجالِ الاقتصادِ، وعَشَراتٍ من رجالِ الاستخباراتِ!

(٥) حَاضِرُ المُسلِمِينَ

لم تَرِدْ على حكمِ الهندِ بعد التقسيمِ أيُّ حكومةٍ رفعَتْ من شأنِ المسلمين، أو تعاملت معهم بقدرِ حجمِهم ونِسبتِهم الحقيقية، أو سمحت بوجودٍ حقيقيٍّ لهم في الجيشِ، والاستخباراتِ وأجهزةِ الأمنِ والقضاءِ. ولم يزلِ المسلمون مهمَّشينَ منذ ما يُسمى بالاستقلالِ في الهند، التي ظلَّت تُحكَمُ بنظامٍ يُشبهُ النظامَ البرلمانيَّ البريطانيَّ. يقولُ محمد أديب، العضوُ السابقُ في مجلسِ الشيوخِ الهنديِّ: إنَّ "الأحزابَ السياسيةَ الرئيسةَ في الهند، بما في ذلك حزبُ الشعبِ الهنديِّ المتشدِّد (بهاراتيا جاناتا) والمؤتمر، بالإضافة إلى الأحزابِ العلمانيةِ واليساريةِ، لا تقومُ بترشيحِ مرشحينَ مسلمينَ بشكلٍ يتناسبُ مع حصَّتِهم السكانيَّة في المناطقِ التي يكونُ لها تأثيرُها السكانيُّ (...). فمن المثاليِّ أن يكونَ للمسلمين على الأقلِّ ١٠٠ ممثلٍ في البرلمان، ولكن ذلك لم يتحققْ"[١] . ومعلومٌ أنَّ المسلمين لم يحصلوا إلا على ٢٩ مقعدًا بالكادِ في الانتخاباتِ الماضية (يونيو ٢٠٢٤م).

المسلمون في الهندِ ليسوا أرقامًا، لكن من المهمِّ أن يُقالَ هنا: إنَّ تَعدادَ المسلمين في الهند يتراوحُ فعليًّا ما بين ٢٥٠ – ٣٠٠ مليون،

---

١ سهيل أختر، مسلمو الهند يعبّرون عن مخاوف كبيرة من نتائج الانتخابات المقبلة - الجزيرة مباشر - ٢٠٢٤/٤/٣م

وفقًا لمعطياتٍ اسْتنَدْنا إليها من كبارِ قادةِ المسلمين في الهند، كالداعيةِ الشهير د. ذاكر نايك، والسياسيّ البارز أسدِ الدين عويسي، زعيمِ اتحادِ مسلمي عمومِ الهند، وعارفِ مسعود، عضوِ المجلسِ التشريعيّ عن حزبِ المؤتمرِ الوطنيّ الهنديّ من بوبال، وتقديراتٍ أمريكيَّةٍ دبلوماسيَّةٍ مُسرَّبةٍ من السفارةِ الأمريكيَّةِ بنيودلهي، وتحليلِ بياناتِ الإحصاءاتِ الرسميَّةِ للكاتبِ الباكستانيّ شاكر لقاني، وغيرِ ذلك؛ ما يرفعُ نسبةَ المسلمين في الهند من ١٤٪ إلى ٢٠٪ من تَعدادِ سكانِ الهند.

على أنَّ هذه الكتلةَ الإسلاميَّةَ الضخمةَ، التي جعلتْ مسلمي الهند يُمثِّلون اليومَ أكبرَ تكتُّلٍ إسلاميٍّ في العالم، يفوقون به أكبرَ دولةٍ إسلاميَّةٍ من حيث تَعدادِ مسلميها في العالم، وهي إندونيسيا، لم تزل ضعيفةً واهِنةً، مُجسِّدةً للحالةِ الغُثائيَّةِ التي حذَّر منها النبيُّ ﷺ في حديثِ ثوبانَ رضي الله عنه الشهير، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[١].

١ الألباني، صحيح أبي داود (٤٢٩٧).

(المسلمون أقليةٌ مُشتَّتةٌ في الهند، تأثيرُها السياسيُّ محدودٌ رغم حجمِها الكبير)

وهذا الوَهْنُ، للإنصافِ، ليس مسؤولًا عنه هذا الجيلُ من المسلمينَ بالكليَّةِ -كما سبق توضيحُه- غير أنَّ ما ورِثَه هذا الجيلُ هو ما يلي:

اتفاقُ الأحزابِ الهندوسيَّةِ من أقصى اليمينِ إلى أقصى اليسارِ على تهميشِ المسلمين، وإبعادِهم عن مراكزِ التأثير، بكلِّ تفاصيلِ ذلك من التهميشِ الكَمِّيِّ والكَيْفِيِّ، ومنه الإفقارُ الاقتصاديُّ، والتجهيلُ، وإغلاقُ المؤسساتِ الإعلاميَّةِ، ومصادرةُ المساجدِ وهدمُها، ونحو ذلك.

طبيعةُ التوزيعِ السكانيِّ للمسلمين، بما لا يجعلهم يتركَّزون في ولاياتٍ دون أخرى، حيث لا يُمثِّلون أغلبيَّةً إلا فيما نَدَر من الولايات (على اختلافٍ في التقديراتِ بين مَن يَبْخَسُهم حقَّهم

العدديَّ أو يُنصفهم). وهذا لا يجعلُهم يُمثِّلون قوَّةً سياسيَّةً مَرهوبة، سوى ما يتمتعون به من قدرٍ من الحريةِ والاحترامِ في بعضِ الولاياتِ الأكثر "تحضُّرًا" في الهند -إن جاز التعبير- كولايةِ كيرالا بالجنوبِ الغربيِّ للهند. وهذا لا علاقةَ لهُ بنسبتهم بالضرورةِ؛ إذ إن بعضَ الولاياتِ التي يُمثِّل فيها المسلمون كتلةً كبيرةً، يُعانون فيها أكثرَ من غيرِهم، كما في آسام، والبنغالِ الغربية، وأوتار براديش، وبيهار بالشمال (في الجغرافيا المتوسطةِ بين كلٍّ من بنغلاديش وباكستان).

ثمَّةَ قاعدةٌ عامَّةٌ بالنسبةِ للأقليَّاتِ المسلمةِ في العالم، وهي أنَّه كلما توافَرَتْ لها الأسبابُ التي تُمكِّنُها من الانفصالِ أو الاستقلالِ لوقوعها في جغرافيا واحدةٍ، بعيدةٍ عن المركز، كلما ازداد قمعُ الأكثريَّةِ لها. وهذا حاصلٌ في الولاياتِ المتقدِّمةِ المُتاخِمةِ لدولٍ إسلاميَّةٍ (بنغلاديش – باكستان). وتتحسَّن الأوضاعُ نسبيًّا في بعضِ المناطقِ الأخرى، لا سِيَّما في الجنوب.

وهذا التوزيعُ المُبعثرُ قد أضعف شوكةَ المسلمينَ كثيرًا، وألجأهم إلى التحرُّك في حدودِ واقعِ الأقلية، ولم يُمكِّنْهم من بناءِ موقفٍ سياسيٍّ قويٍّ، لا سِيَّما مع تشتُّتِ الأفكارِ، وتعثُّرِ المبادراتِ والمشاريعِ السياسيَّةِ.

لعبتْ بريطانيا، ومن بعدها النُّظمُ المُتعاقِبة، بذكاءٍ شديدٍ في جعل إفادةِ المسلمينَ من قوَّتِهم العدديَّةِ محدودةً جدًّا في عالم

السياسة. كيف؟ ذاك عبر نظامِ التصويتِ من خلالِ الولايات، وليس التصويت الكليّ للأحزاب؛ بمعنى أنَّ على المسلمين أن يحظَوْا بالأغلبيةِ العدديَّة في الولاية حتى يكونَ لهم تمثيلٌ مناسبٌ في البرلمان، وليس من خلال البلادِ كلِّها. فإذا كانت نسبةُ المسلمين تبلغ -على سبيل المثال- ٢٠٪ من السكان، فهذا لا يعني أنهم يُمكنهم أن يُمثِّلوا حزبًا يحصد خُمس مقاعدِ البرلمان. وقد وُضع هذا النظامُ ليحرمَ المسلمين وغيرَهم من الأقليات من حقوقهم السياسيَّة، ما لم تمنحْهم الكبرى حصصًا وفقًا لتوازناتِ التصويتِ، لا غيرها. وهذا نظامٌ لا يُحقِّق العدالةَ بكل تأكيد، حتى داخلَ الحيِّزِ الهندوسيِّ نفسه، لكنه يضمن دورانَ الحكمِ داخلَ هذا الحيِّز باختلافِ أحزابِه.

مثلًا: في انتخابات عام ٢٠١٤م، فاز حزبُ بهاراتيا جاناتا بحصة ٣١٪ من الأصوات؛ فحصل بموجبها على ٢٨٢ مقعدًا، فشكَّل الحكومةَ منفردًا لحصولِه على ٥١٪ من المقاعدِ الكلية (٥٤٥ مقعدًا). بينما فاز حزبُ المؤتمرِ بحصة ٢٠٪؛ فحصل بموجبها على ٤٤ مقعدًا فقط. وفي الوقت نفسه، فاز حزب "آي إيه دي إم كي" بحصة ٣٪ فقط من الأصوات بـ ٣٧ مقعدًا. هذا يجعلُ تكوينَ المسلمينَ لكتلةٍ برلمانيةٍ مكافئةٍ لحجمِهم، مهمَّةً شبهَ مستحيلة.

وجودُ طوائفَ منحرفةٍ تنتسب إلى الكتلةِ الإسلاميَّة، كالبريلويةِ الصوفيَّة، أو الشيعةِ الإماميَّةِ والإسماعيليَّةِ، يُعد معوِّقًا

رئيسًا للعملِ السياسيِّ الإسلاميّ؛ حيث تعملُ الفِرَقُ الشيعيةُ -تحديدًا- ضدَّ المسلمين، وتتحالفُ مع أكثرِ جماعاتِ "الهندوتفا" تطرُّفًا وإرهابًا، لا سِيَّما حزبِ بهاراتيا جاناتا الحاكمَ الآن. وهذا يُعَدُّ خصمًا من رصيدِ المسلمين، وإضعافًا لشوكتِهم، واستهلاكًا لجهودِهم الدعويَّةِ والسياسيَّةِ.

هذا بعضُ ما ورِثَه الأبناءُ المسلمون عن واقعِ أجدادِهم الأقربين، أمّا ما باتوا يُلاقونه اليومَ، فهو حاضرٌ بالغُ الخطورة، تتعدَّدُ سِهامُه وآلامُه، وتتنوعُ أساليبُه، مع فُشُوِّ الشَّعْبَوِيَّةِ الهندوسيَّةِ في العَقْديْنِ الأخيرْنِ، والتي حكمَتْ بالفعل، وتغلغلتْ في كلِّ مفاصلِ الدولةِ الهنديَّةِ.

(٦) تسلُّط الشَّعْبَوِيَّةِ الهِندوسِيَّةِ

تغوَّل اليمينُ الهندوسيُّ المتطرِّفُ في العَقْديْنِ الماضيْنِ، وازدادَ توسُّعًا في اضطهادِه للمسلمين، مع ارتفاعِ عددِ أعضاءِ منظمةِ التطوُّعِ الوطنية (RSS) شبهِ العسكرية، والتي وصلَ عددُ أفرادِها إلى نحوِ ١٠ ملايين، باتوا الآن يسيطرون على معظمِ مفاصلِ الدولةِ الهنديَّة، عبر جناحِهم السياسيِّ (الحزبِ الحاكمِ وحكومتِه) بهاراتيا جاناتا، وإعلامِها المتضخِّمِ تقليديًّا وحديثًا (أكبرُ جيشٍ إلكترونيٍّ في وسائلِ التواصلِ في العالم)، واقتصادِهم الواعد، وميليشياتِهم المنفلتةِ في ربوعِ الهند، لا سِيَّما معاقلِ الحزبِ الحاكمِ في أوتار براديش وغيرها، وذراعِهم القضائيِّ المستبدِّ في المحكمةِ العليا والمحاكمِ الفرعيَّة.

أُطلِقَ على المسلمين أكبرُ حملةِ كراهيةٍ وترهيبٍ لاقَوْها منذُ الاستقلال، حيثُ اتُّهِمَ المسلمون بكلِّ أنواعِ "الجهادِ" المكذوبة، كـ"جهادِ الحبِّ" (تغريرِ الشبابِ المسلمِ بالفتياتِ الهندوسيَّاتِ للزواجِ منهنَّ وإنشاءِ أُسَرٍ مسلمةٍ كثيرةٍ لتغييرِ الطبيعةِ الديموغرافيَّةِ للبلاد)، و"جهادِ الفيضاناتِ" (لإغراقِ الهندوسِ بالفيضاناتِ عبر التورُّطِ بإنشاءِ سدودٍ واهنة)، وقد بدا أنَّ الهند اتَّخذَتْ من هذه الشائعةِ ذريعةً لإغراقِ بنغلاديش بالماءِ من خلالِ فتحِ السدودِ الرابطةِ بين الدولتين فجأة، و"جهادِ كورونا" (بنشرِ

المرضِ بين الهندوسِ في حينِه)، و"جهادِ المخدِّراتِ" (نشرِ المخدِّراتِ بين الهندوس)، و"جهادِ الأرضِ" (حيث يُلامُ المسلمون بمزاعمِ احتكارِ الأراضي للسيطرةِ على أراضي الهند)، و"جهادِ التصويتِ" (في الانتخابات)!

وهكذا، تُدار حملاتٌ إعلاميَّةٌ أخرى لإيهامِ الهندوسِ بأنَّ لدى المسلمين مشروعًا لابتلاعِ الهندِ وحُكمِها عبر أغلبيَّةٍ إسلاميَّةٍ لن يمرَّ على تحقيقِها سوى ثلاثةِ عقودٍ من الآن! وتعمُّد إهانةِ الهندوسِ بذبحِ الأبقارِ لتبريرِ تنفيذِ -وشحنِ الغوغاءِ لارتكابِ- عملياتِ إعدامٍ بالمئاتِ لمسلمين، لمجرَّدِ وجودِ لحومِ أبقارٍ لديهم، أو لذبحِهم أضاحيَ، وتشويه حُكمِ المسلمين من قبلُ بالزعمِ أنَّه قد أَرغَمَ الملايينَ من الهندوسِ على الإسلام، وبالتالي يتعيَّن على الحركةِ الهندوسيَّةِ إعادتُهم إلى حظيرةِ هذه الديانةِ الوثنيَّةِ مجددًا، وتشويه حاضرِهم لاعتبارِهم فقراءَ، مُتخلِّفينَ، مُتعصِّبينَ، رافضينَ للحضارةِ والتطوُّرِ، مُهتمِّينَ بالعلومِ الدينيَّةِ على حسابِ تطويرِ البلاد.

وتلك العلومُ الدينيَّةُ أثارت حَنَقَ الوثنيين؛ فاندفعوا لإغلاقِ نحو ٢٥ ألفَ مؤسَّسةٍ تعليميَّةٍ إسلاميَّة، وهدْمِ آلافِ المساجدِ، وإقامةِ معابدَ مكانَها أو أوشك أن يتحقَّقَ ذلك بالجملة، لا سِيَّما تلك الأثريَّة والتاريخيَّة والكبيرة، ومَنْعِ تراخيصِ التمويلِ الخيريِّ عن ٢٥ ألفَ مؤسَّسةٍ وَقْفيَّةٍ إسلاميَّة، ونُفِّذَت مذابحُ عديدةٌ ضدَّ

المسلمين، وعمليَّاتُ إعدامٍ بدمٍ باردٍ في الشوارعِ من قِبَلِ الميليشياتِ الهندوسيَّةِ الإرهابيَّة.

(وللتذكيرِ ولنفيِ هذه الفِرية؛ فإنَّ فقرَ مسلمي الهندِ اليومَ لم يكن نتاجَ تخلُّفِهم، وبالطبعِ ليس دينَهم؛ فحتى في أسوأ عصورِ انحطاطِ الحُكمِ المغوليِّ للهند، كانت الهندُ غنيَّة، بل لم تَصِل الهندُ في أعلى معدَّلاتِ نموِّها الاقتصاديِّ الحاليِّ إلى مِعشارِ قوَّتِها الاقتصاديَّةِ أثناءَ حكمِ المسلمين، حيث "يكشف المؤرّخ أنجوس ويلسون من جامعةِ كامبريدج أنَّ حصَّة الهند من الدخلِ العالميِّ في عام ١٧٠٠ كانت ٢٢,٦٪، وهو ما يُقارَنُ بإجماليِّ دخلِ أوروبا الذي كان آنذاك ٢٣,٣٪ (بفارقٍ أقلَّ من ١٪). وفي وقتِ الاستقلالِ، في عام ١٩٥٢، انخفضتْ حصَّةُ الهند إلى ٢,٣٪ من الدخلِ العالمي"[١]).

وفي الطريقِ، سُنَّت على عَجَلٍ -أو تكاد- حُزمةٌ من القوانينِ عبرَ البرلمانِ الموتورِ وسابقِه، منها: "إلغاءُ الطلاقِ الثلاثيِّ" (الإسلامي)، و"تنظيمُ الأسرةِ" (لكبحِ جماحِ التناسُلِ بين المسلمين)، و"تنظيمُ الأوقافِ" (لمصادرةِ أملاكِ المسلمين ومساجدِهم ومدارسِهم وجامعاتِهم)، والهدفُ منه إفقارُ المسلمين، والتدخُّلُ في مناهجِهم الدينيَّةِ، ومنعُ استقلالِ علمائِهم وشيوخِهم، و"قانونُ

١ إدواردو فاليرو (وزير الدولة للشئون الخارجية السابق)، مقال بعنوان "جوا: التأثير الاقتصادي والثقافي للاستعمار"، مسلم ميرور ٢٠٢٠/٦/٤م

الجنسيَّةِ" (الصادرُ في العام ٢٠١٩م، والذي وُضع في حيِّزِ التطبيقِ هذا العام، والذي يمنح الجنسيَّةَ الهنديَّةَ للهندوسِ والبارسيِّين والسيخِ والبوذيِّين والجاينيِّين والمسيحيِّين، الذين فرُّوا إلى الهند، ذاتِ الأغلبيَّةِ الهندوسيَّةِ، من أفغانستان وبنغلاديش وباكستان، ذاتِ الأغلبيَّةِ المسلمة، قبل ٣١ ديسمبر ٢٠١٤م. ويَسْتثني المسلمين وحدَهم من منحِ الجنسيَّة، وذلك لمنعِ المهاجرين من بنغلاديش من المسلمين إلى ولايةِ آسام خصوصًا من بعد ١٩٧١م من أنْ يحصلوا على جنسيتِهم الطبيعيَّة (الهنديَّة) للحؤول دونَ تحوُّلِها إلى ولايةٍ ذاتِ غالبيَّةٍ مسلمة)، وقانونُ "تجريمِ الدعوةِ إلى تغييرِ الديانة"، والمقصودُ به تحديدًا المسلمون، بعد أن تكاثرتْ أعدادُ الداخلين في الإسلام، خصوصًا من طبقةِ "الداليت" الهندوسيَّةِ المُضطهدة، ويجعلُ لذوي المسلمين الجُدُدِ الحقَّ في إعادتِهم للهندوسيَّةِ قسرًا بمعاونةِ الدولة، عبر التشكيكِ في إسلامِهم، والأخذِ بشهادتِهم به، وبالتالي يُعادون إلى الهندوسيَّةِ قسرًا، ويُعاقَب الدعاةُ على ذلك، وقد تمَّ ذلك بالفعل، واقتيدَ كبارُ الدعاةِ المسلمين إلى السجونِ باسمِ هذا القانونِ الجائر. والعديدُ من القوانينِ الاستثنائيَّةِ المُفصَّلةِ على مقاسِ المسلمين تحديدًا، قصدَ التمييزِ ضدَّهم. ومن القوانينِ إلى "سلطاتِ إنفاذِ القانون"، حيث تمَّ ترسيخُ سلبيَّة وعنصريَّة الدوائرِ التنفيذيَّةِ الدنيا والمتوسِّطةِ في الشرطةِ والقضاءِ

وحكوماتِ الولايات تجاه الجرائمِ المُرتكبة بحقِّ الأقليَّاتِ الإسلاميَّة، وفي الغالبِ تتحوَّلُ إلى جَلَّادٍ للضحيَّة.

ثم إنَّ الحكومةَ الهنديَّةَ المتطرِّفةَ، من بعدُ، تُسابقُ الزمنَ في كلِّ ما يتعلَّقُ باضطهادِ المسلمين وهَضْمِ حقوقِهم، وآخِرُها كانت انتخاباتُ خريفِ ٢٠٢٤م في جامو وكشمير، بعد أن صادقتِ المحكمةُ العليا في الهند على إلغاءِ الحُكمِ الذاتيِّ لجامو وكشمير، الولايةِ الوحيدةِ التي يُمثِّلُ فيها المسلمون أغلبيَّةً مُطلقةً وَفْقَ الإحصاءاتِ الرسميَّةِ، والمنطقةِ الأكثرِ عَسْكرةً في العالم (بوجودِ ٩٠٠ ألفِ جنديٍّ عسكريٍّ ومدنيٍّ هنديٍّ فيها)، ثمَّ ما تلا ذلك من عُدوانٍ شنَّته على باكستان لترسيخِ وضعِ كشمير المحتلَّة.

وجديرٌ بالعلم، أنَّ للحزبِ الحاكمِ في الهند مشروعَه المُعلَنَ بإقامةِ دولةِ الهندوس الكبرى، التي تشمل دولًا أو أجزاءَ من دولٍ مجاورةٍ، علاوةً على باكستان وبنغلاديش.

(٧) أبرزُ القُوى الإسلامِيَّةِ

لم تكن فترةُ حُكمِ حزبِ المؤتمرِ الوطنيِّ الهنديِّ جيّدةً للمسلمين، لكنها لم تكن الأسوأ؛ فرغمَ وقوعِ مجازرَ كثيرةٍ في فترةِ حكمِ المؤتمرِ، إثرَ "الاستقلالِ" عامَ ١٩٤٧م، ثم مجزرة ١٩٧٤م، التي قُتل فيها أعدادٌ لا تُحصى من المسلمين، قُدِّرت بالملايين، إلا أنها اختبأت خلفَ "أعمالِ عنفٍ متبادلة"، وحاولت الحكوماتُ المتعاقبةُ للمؤتمرِ حينها ألّا تُظهر عداءً فاقعًا للمسلمين، رغم وُلوغِها، حقيقةً، في هذا العداء. كما لا ينبغي إغفالُ أنَّ نصبَ التمثالِ في مسجدِ بابري، وإغلاقَه، ثم فتحَه بعد سنواتٍ عديدةٍ، ومسألةَ بدءِ الحملةِ الانتخابيةِ من أيوديا، أو هدمَ مسجدِ بابري في ٦ ديسمبرَ ١٩٩٢م، كلها أمورٌ شهدتْها فترةُ حكمِ حزبِ المؤتمرِ، التي اتَّسَمَتْ بتهميشِ المسلمينَ في شتّى المجالات، ولم يتولَّ فيها ساسةٌ مسلمون مناصبَ مهمةً في الدولة، باستثناءِ فترةِ حكمِ إنديرا غاندي، التي اغتيلت في العام ١٩٨٤م. لكن ما تلا ذلك من تسلُّطِ نظامِ حُكمِ حزبِ بهاراتيا جاناتا الهندوسيِّ المتطرّف – الواجهةِ السياسيةِ لمنظمةِ التطوّعِ الوطنيةِ (راشتريا سوايامسيفاك سانغ)، المعروفةِ اختصارًا باسم (R.S.S)، التي تجمع بين الهندوسيّةِ المتطرّفةِ والقوميةِ الهنديةِ، وتحملُ بُغضًا هائلًا للمسلمين، وتعتبرهم دخلاءَ على الهند، يتعيّن إبادتُهم إن أُمكن، أو إضعافُهم

متى تيسَّر – هو الأشدُّ مَضاضَةً على المسلمين، ويحملُ خطرًا كبيرًا جدًّا على مُستقبلِهم في الهند.

وما يُستشفُّ من دراسةِ فترتيْ حُكمِ المؤتمرِ ثم بهاراتيا جاناتا هو أنَّ الأولَ قد مهّد الطريقَ للثاني؛ فالهندوسيّةُ المتطرّفةُ استفادت من المساحةِ المُتاحةِ في حُكمِ حزبِ غاندي (المؤتمر)، ليُطيح به تمامًا، ويُقلّل من حظوظِ عودته المستقبلية، بعد أن ربّى هذا الثعبانَ في جُحره.

أما المسلمون؛ فقد تضافرت العواملُ (سابقةُ الذِّكر فيما تقدَّم)، لإضعافِهم، بينما عمل مُصلِحوهم على إحياءِ المسلمينَ ونهضتِهم، ونشأت هيئاتٌ وحركاتٌ حافظت على قدْرٍ من حقوقِهم، وساهمت في تعليمِ قطاعاتٍ منهم، وتجديدِ دينِهم. ومعلومٌ أنَّ النهضةَ العلميةَ التي أطلقها العلّامةُ البارزُ وَلِيُّ اللَّه أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ الدِّهْلَوِيُّ (صاحبُ كتابِ "حُجّةُ الله البالغة" الشهير)، وجدَّدها علميًّا وجهاديًّا تلميذُ مدرسةِ ابنِه عبدِ العزيز، العالمُ المباركُ أحمدُ بن عِرفانَ الشهيد، صاحبُ الحركةِ الجهاديةِ والأثرِ التربويّ الممتدّ في القرنِ الثامن عشرَ الميلاديّ، قد واجهت البدعَ والخرافاتِ والاحتلالَ معًا، وأسَّسَت لما بعدَها من هيئاتٍ وحركاتٍ ومؤسَّساتِ التجديدِ الدينيّ، التي كان أبرزُها حركةَ العلماءِ الهنودِ الذين قادوا الثورةَ ضدَّ الإنجليزِ في العام ١٨٥٧م، تحتَ رايةِ

سلطانِ دِلهي بهادر شاه، والتي -للأسف- نجح الإنجليزُ في إخمادِها وإنهاءِ حكمِ المسلمينَ الذي استمرّ ثمانيةَ قرون.

غير أن العلماءَ لم يتركوا الأمةَ المسلمةَ في الهندِ أيتامًا بعد ضياعِ مُلكهم في شبهِ القارةِ الهندية؛ فقد ظلّت حركةُ العلماءِ دومًا في الصدارة، وبدا للعلماء، بعد غيابِ حُكمِ المسلمينَ تمامًا، بنفيِ وإعدامِ آخرِ سلاطينِ المسلمين، أنهم بحاجةٍ إلى تفعيلِ دورِ العلماءِ، أكثرَ من خلالِ مؤَسساتٍ تعليمية، فأسهم كوكبةٌ من علماءِ الهندِ الأكابر، على رأسِهم محمد قاسم النانوتي، وفضلُ الرحمنِ العثماني، ورشيدُ الكنكوهي، وسيّد محمد عابد ديوبندي، في تأسيسِ دارِ العلومِ ديوبند، بعد عشرِ سنواتٍ من انهيارِ الحُكمِ الإسلاميّ (الشكليّ) للهند، أي في العام ١٨٦٧م، وكان محمود ديوبندي أولَ مُعلّمٍ فيها، ومحمود حسن ديوبندي أولَ طالبٍ فيها. وامتدّ أثرُ المدرسةِ، لتضمَّ الآن أكثرَ من ثلاثةِ آلافِ مدرسةٍ، وجامعةً إسلاميةً عريقةً تُسمّى "الجامعة الإسلامية"، التي هي أكبرُ وأقدمُ جامعةٍ إسلاميةٍ أهليةٍ في شبهِ القارةِ الهندية، وتقع في بلدةِ ديوبند، التي تُعدُّ مَعْقِلًا للسُّنَّةِ الأحنافِ في الهند، وعلَمًا من أعلامِ النضالِ ضدَّ المحتلّ وأذنابِه.

(الجامعة الإسلامية ديوبند أقدم جامعة إسلامية في الهند – تُدرّس باللغة الأوردية)

ولقد أحسّت بريطانيا بخطرِها عليها، فحاربتها بوسائلَ متعددة، من دونِ مواجهتِها بشكلٍ صريحٍ واضح، فاعتقلت العلماءَ، وشجّعت طريقةً ضالّةً على البروزِ، ومِن ثَمَّ منافستها، وهي الطائفةُ البَريلَويَّةُ، التي تُبالغ في مدحِ النبيّ ﷺ حدَّ تألِيهِه، وتُقاوِم النزعةَ الجهاديةَ لدى العلماءِ والمسلمينَ، وتُفتي بحرمةِ الجهادِ ضدَّ المحتل! كما أنشأت فرقةً ضالّةً أخرى هي القاديانيةُ، التي خرجت صراحةً عن ملةِ الإسلام.

انخرط عشراتُ الملايينِ في اتّباعِ البَريلَويَّةِ، مخدوعين بمحبةِ النبي ﷺ؛ فاستفادت لندن من ذلك بشقّ صفِّ المسلمين. أما القاديانيةُ، فلم تستطع منافسةَ الإسلامِ في الهند، لقلّةِ أتباعِها ووضوحِ ضلالِها للقاصي والداني.

وما فتئت المدرسةُ الديوبنديةُ بفروعِها هي رُمانةَ ميزانِ العملِ والدعوةِ الإسلاميةِ في الهندِ لعشراتِ السنين. يقول سهيلُ أَخْتَر قاسمي: "كما فعلتِ حركةُ ديوبند في الماضي، حيث قامت بأعمالِ التجديدِ الدينيّ، فإنها لا تزال منخرطةً في هذا العملِ النبيل حتى اليوم. في الواقع، تم إنشاءُ هذه المؤسسة عامَ ١٨٦٧ بهدفِ التجديدِ الديني. أينما يُطرح موضوعُ نشرِ الإسلام، سيُوثَّق الأثرُ الإسلاميُّ والتربويُّ والحضاريُّ والثقافيُّ لمؤسسةِ دارِ العلومِ ديوبند، المؤسسةِ التعليميةِ الأمّ، توثيقًا كاملًا. لقد خرّجت ملايينَ العلماءِ، ومثلَهم من خبراءِ الشريعة. واليوم، بينما تسعى هذه المجموعةُ من العلماءِ لنشر الإسلام، فإنها تُكافح أيضًا من أجلِ بقاءِ الدين. من هذا المنظور، تُعتبر المدارسُ الإسلاميةُ أكثرَ استحقاقًا للثناء، فبفضلِها تُحافظ حركاتُ إحياءِ الدين على استمراريّتِها"[١].

١ أختر قاسمي، "حركات الإحياء الإسلامي والهند، دار العلوم ديوبند – مقالات ومضامين – ٢٠٢٢/٣/٢٣م

(الجامعة الإسلامية لكناو – تُدرّس باللغة العربية)

ومن نسلِ هذه المدرسةِ المباركةِ (الديوبنديةِ) تأسست ندوةُ العلماءِ، وهي مجلسٌ لعلماءِ المسلمين، في كانبور عام ١٨٩٢م. وكان أول رئيسٍ لها هو محمد علي المنغيري، أما الرئيسُ الحالي فهو بلال عبد الحيّ حسني الندوي. وانبثقت عنها الجامعةُ الإسلاميةُ في لكناو، التي تأسست في العامِ نفسه، وتُدرّس باللغةِ العربية، وكان ذلك من أحدِ أهدافِها التي عمل عليها أبو الحسن الندوي، أحدُ المؤسّسين، الكاتبُ الهنديُّ البارز، وصاحبُ المؤلفاتِ المهمةِ في المكتبةِ الإسلامية.

ومن نَسْلِها كذلك، تأسَّست جماعةُ التبليغِ والدعوةِ على يدِ عالِمٍ ديوبنديٍّ، هو الشيخُ محمد إلياس الكاندهلوي، عامَ ١٩٢٦م.

وتتبَعُ المذهبَ الحنفيَّ، وتنشُطُ في العديدِ من الدولِ خارجَ شبهِ القارةِ الهندية، ولديها مؤتمراتٌ جامعةٌ تضمُّ ملايينَ الأشخاصِ في ثلاثِ تجمُّعاتٍ رئيسةٍ في شبهِ القارةِ الهنديةِ: تَجمُّع بوبال -عاصمةِ ولايةِ ماديا براديش[1]-، وتَجمُّع رايوند بباكستان، وتَجمُّع دكّا ببنغلاديش (وقد امتدَّ لعدةِ مدنٍ مؤخَّرًا). ويقتصرُ جهدُها على الجانبِ الدعويِّ والتربويِّ، ولا تتعاطى السياسةَ.

وكذلك هناك جمعيةُ علماءِ الهند، والتي تأسست عامَ ١٩١٩م من قِبَلِ مجموعةٍ من علماءِ الديوبندية، وانتُخِبَ المفتي كفايةُ الله الدهلوي كأولِ رئيسٍ للمنظمةِ، وقد انقسمت في العامِ ٢٠٠٨م، ويرأس الشيخُ أرشد مدني قسمَها الأكثرَ حضورًا في الساحةِ.

وبالتوازي، كانت حركةُ أهلِ الحديثِ قد نشأت في شمالِ الهندِ في منتصفِ القرنِ التاسعَ عشَرَ على يدِ الشيخِ سيد نذير حسين وصدّيق حسن خان، ومنها قاد الإمامُ المجاهدُ إسماعيل بن عبد الغني -المعروفُ بالشهيدِ- جهادًا عظيمًا ضدَّ الإنجليزِ إلى أن قُتِل في العامِ ١٨٣١م. وهي حركةٌ تُشبه في جوهرِها حركةَ الشيخِ محمد بن عبد الوهاب، مع اختلافاتٍ في بعضِ التفاصيلِ. ويمثِّلُهم الآن جمعيةُ أهلِ الحديثِ المركزيةُ التي تأسَّست في ديسمبر ١٩٠٦م،

---

١ أحدُ معاقل المسلمين في الهند وأكثرها تعرُّضًا للقمع.

ولها ٢١ فرعًا على مستوى الولاياتِ، وأكثر من ٢٠٠ فرعٍ على مستوى المقاطعاتِ، و٤٠ ألفًا على المستوى المحليّ. ووفقًا لبعضِ الدراساتِ القريبةِ من الجمعيةِ، فإن عددَهم في الهند يُقدَّر بنحو ٢٥-٣٠ مليون نسمة، وأقلَّ من ذلك بقليلٍ في كلٍّ من باكستان وبنغلاديش. (رغم كِبَرِ حجمِها، إلا أن الكتلةَ الأساسيةَ في الهندِ تتبع المدرسةَ الديوبنديةَ، تليها البريلوية[1] وكلتاهما تنتسبانِ للمذهبِ الحنفيّ مع اختلافٍ جوهريّ كبيرٍ بينَهما في العقائدِ).

وإذ يُلحظُ أن نشاطَ الحركاتِ والمؤسساتِ السابقةِ قد سبق أو واكب فترةَ الاحتلالِ الإنجليزيّ للهند، ونشأ كضرورةٍ إحيائيةٍ في صعيدَي مكافحةِ الضلالاتِ والبدعِ من جهةٍ، والاحتلالِ من جهةٍ أخرى، فإن جماعةً جديدةً قد تبلورت أفكارُها في المرحلةِ الأخيرةِ التي أوشك فيها الاحتلالُ على حزمِ حقائبِه بعد أن اطمأنَّ إلى ترتيبِ الأوضاعِ الداخليةِ في شبهِ الجزيرةِ الهندية، ومهَّد لتقسيمِها، وفي تلك المرحلةِ وُلِدت الجماعةُ الإسلاميةُ في شبهِ الجزيرةِ الهنديةِ على يدِ أبي الأعلى المودودي، في العام ١٩٤١م في لاهور (بباكستان الحالية)، بعد أن وجَّه المودودي دعوةً لعلماءِ المسلمين وقادتِهم من خلالِ مجلةِ "ترجمان القرآن"، التي كان يرأس تحريرَها، ولم تزل

---

١ من المهمِّ التنويهُ إلى أنَّ أتباعَ الطائفةِ البريلويةِ معظمُهم جهّالٌ، قد انضمُّوا إليها ظنًّا منهم أنَّها تُعظِّمُ النبيَّ ﷺ ولا تُؤلِّهُه، ولهذا يتحفَّظُ علماءُ الديوبنديةِ في تكفيرِ عوامِّ الطائفة، ولا يتردَّدُ كثيرٌ منهم في تكفيرِ رؤوسِهم.

تصدرُ حتى الآن، من أجل إقامةِ جماعةٍ إسلاميةٍ تُدافع عن حقوقِ المسلمين، وتُساهم في انبعاثِهم من جديدٍ، مطالِبةً بعودةِ الإسلامِ ليحكمَ الهندَ في جميعِ شؤونِها، باعتبارِه دينًا ونظامًا شاملًا للحياةِ.

وحين انفصلت باكستان عن الهند في العام ١٩٤٧م، أُعيدت هيكلةُ الجماعةِ الإسلاميةِ التي أنشأها المودودي، حيث استمرَّ أميرًا لها في باكستان، وأصبح أبو الليث الندوي أولَ أميرٍ للجماعةِ الإسلاميةِ في الهند. واتخذت من أوتار براديش مقرًّا لها، ثم تنقَّلت إلى أن استقرَّ مركزُها في العاصمةِ نيودلهي عامَ ١٩٦٠م. وقد كان للجماعةِ فضلٌ كبيرٌ في بقاءِ الصِّبْغةِ الإسلاميةِ في دستورِ باكستان ونظامِها الاجتماعيِّ حتى الآن، حيث كانت حماسةُ المسلمين الملتفِّين حولَها عند "استقلالِ باكستان" كبيرةً؛ دفعتِ النظامَ للخضوعِ لكثيرٍ من مطالبِها، رغم تعرُّض أميرِها للاضطهادِ والحُكمِ عليه بالإعدامِ، ثم تخفيفِ الحكمِ لاحقًا.

وبعد انفصالِ بنغلاديش عن باكستان، أصبح للجماعةِ فرعُها المستقلُّ هناك أيضًا. وثمّةَ تباينٌ في مستوياتِ التزامِ الجماعةِ بأصولِها التي تأسست عليها، بعد أن أصبح المسلمون في الهند أقليةً غيرَ مؤثرةٍ، وخضعت باكستان وبنغلاديش لنظامَين عسكريَّين. والمراقِبُ يَلحظُ أن الجماعةَ الإسلاميةَ في باكستان هي الأكثرُ حريةً في نشرِ أفكارِها الأصيلةِ، بينما خضعت الجماعةُ الإسلاميةُ في بنغلاديش لقمعٍ شديدٍ إبّان حكمِ حسينة واجد، وتراجعتِ

الجماعةُ في الهند عن إعلانِ منهجِها بشكلٍ واضحٍ في وقتِنا الحالي، ففي حين تنصُّ المادةُ الرابعةُ من دستورِ الجماعةِ الإسلاميةِ في الهند على ما يلي: "هدف الجماعة الإسلامية في الهند هو إقامةُ الدينِ. والدافع الحقيقيُّ لذلك هو نيلُ رضا الله ونعيمُ الآخرةِ"؛ فإن الجماعةَ اضطُرّت إلى أن تتخذَ مواقفَ رماديةً حيالَ عددٍ من القضايا المهمةِ. ومع هذا، فقد تم حظرُها مرتين: خلال حالةِ الطوارئ في عام ١٩٧٥م، ومرةً أخرى في عام ١٩٩٢م، عامِ هدمِ مسجدِ بابري. وعندما تم رفعُ الحظرِ الثاني بأمرٍ من المحكمةِ العليا في الهند، أعلنت المحكمةُ أن "الجماعةَ الإسلاميةَ في الهند هي منظمةٌ لعمومِ الهندِ، تؤمن بالأخوّةِ العالميةِ، والعلمانيةِ، والنزاهةِ، ووحدانيةِ الله"! يقول د. محمد فاروق أعظم: "لا توجد فرصةٌ آنيةٌ لبناءِ دولةٍ على النموذجِ الإسلاميّ، ولكن من المؤكدِ أن البلادَ يمكن أن تنعمَ ببيئةٍ سلميةٍ وآمنةٍ إلى حدٍّ كبيرٍ. وهناك فرصٌ لذلك. قبل بناءِ دولةٍ على النموذجِ الإسلامي، لا بُدَّ من استعادةِ الطابعِ الديمقراطيّ والدستوريّ للبلادِ والحفاظِ عليه. فبدونِ ذلك، لا يمكن دعوةُ شعبِ البلادِ إلى الإسلام. وبفضلِ الله، تُبذل الجهودُ في هذا الاتجاه"[١].

١ محمد فاروق أعظم، فرص الحركة الإسلامية في الهند، مجلة زندكي - عدد يوليو ٢٠١٩

والجماعةُ لها إسهاماتُها في شتى المجالاتِ؛ منها: مشاركةُ قادتِها بفعاليةٍ في تشكيلِ المجلسِ الاستشاريّ الإسلاميّ لعمومِ الهند (AIMMM)، وهو اتحادٌ يضمُّ منظماتٍ إسلاميةً مختلفةً في الهند، أُنشئ في العام ١٩٦٤م، برعايةِ علماءَ أبرزُهم أبو الحسن الندوي. وكذلك لعبت الجماعةُ الإسلاميةُ الهنديةُ دورًا هامًّا في تشكيلِ مجلسِ الأحوالِ الشخصيةِ للمسلمين لعمومِ الهند (AIMPLB)، وهو هيئةٌ قياديةٌ للمسلمين الهنود، يُمثَّل فيها علماءُ وقادةٌ من جميعِ المذاهبِ الفكريةِ. وقد تأسَّس عام ١٩٧٢م، بهدفٍ رئيسٍ يتمثّلُ في اعتمادِ استراتيجيةٍ مناسبةٍ لحمايةِ وتطبيقِ قانونِ الأحوالِ الشخصيةِ للمسلمين في الهند. وقد انخرط أعضاءٌ في الجماعةِ في تأسيسِ حزبِ الرفاهِ الهندي، إلى جانبِ قادةٍ مسلمين، وقِسٍّ "مسيحيٍّ" (تأسس في العام ٢٠١١م). وقد أَنْشأتِ الجماعةُ منظمةَ الطلابِ الإسلاميين في الهند (SIO) عام ١٩٨٢م، وتُعتبر هذه المنظمةُ الطلابيةُ اليوم من أكبرِ المنظماتِ الطلابيةِ في البلاد، حيث تضمُّ آلافَ الأعضاءِ وملايينَ الأتباع المنتشرين في جميعِ أنحاءِ البلاد. ولتوعيةِ الفتياتِ؛ أُنشئت "منظمةُ الفتياتِ الإسلامية" (GIO) عامَ ١٩٨٤م.

وغير حزبِ الرفاهِ؛ فالجهةُ الأكثرُ تمثيلًا للمسلمين سياسيًّا الآن في الهند، هي مجلسُ عمومِ الهندِ لاتحادِ المسلمين، أو مجلسُ عمومِ مسلمي الهند (AIMIM)، والذي يرأسه السياسيُّ البارزُ

أسدُ الدين عويسي، الذي أصبح الأكثرَ حضورًا إعلاميًّا؛ نظرًا لكونه واجهةَ البرلمانيين المسلمين، الذين يبلغ عددُهم ٢٣ نائبًا في البرلمانِ الرئيسيّ. ويُعتبَر حزبُه إقليميًّا، مقرُّه الرئيس في حيدر آباد، وقد حصل على اعترافٍ منذ عام ٢٠١٤م كـ"حزبِ دولةٍ"، وليس إقليميًّا فحسب.

ورغمَ الجهودِ التي تقومُ بها كلُّ هذه الجهات، فإنَّ المسلمينَ في الهندِ بحاجةٍ مُلحَّةٍ إلى إحياءٍ جديدٍ، وتطويرٍ كبيرٍ، وإعادةِ قراءةٍ للمُستَجَدَّاتِ التي خلَّفها وصولُ نظامِ "بهاراتيا جاناتا" الإرهابي، والذي يعملُ على تهميشِ أكبرِ كتلةٍ مسلمةٍ في العالم، يساعدُه في ذلك ظرفٌ دوليٌّ مُسانِد، وانصرافٌ شبهُ كاملٍ من بقيَّةِ الأمَّةِ المسلمةِ عن القضيَّةِ الهنديَّة.

(٨) تَحَدِّياتٌ وآمَالٌ

يحملُ الحاضرُ كثيرًا من التحدياتِ الداخليَّةِ والخارجيَّةِ..

فمن الداخليّ: هناك التفرُّقُ بين المسلمينَ على مستوياتٍ عدَّة؛ فضمنَ حَيّزِ المسلمينَ توجدُ فِرَقٌ ضالَّةٌ، كالبَريلويةِ والرافضةِ بتنوُّعاتِها، ثم إنَّ ثمَّةَ اختلافاتٍ بين مدارسِ أهلِ السُّنَّةِ ذاتِهم، وتراشُقًا أحيانًا يُوسِّعُ الهوَّةَ بين المسلمين.

وهناك ضَعْفُ الثقافةِ الإسلاميَّةِ بين المسلمين، وعدمُ إدراكِهم لطبيعةِ دورِهم، والرِّسالةِ التي يتعيَّنُ عليهم أن يحملوها لغيرهم، والحياةِ التي ينبغي أن يعيشوها ليستأهِلوا نُصْرةَ اللهِ تعالى لهم.

وهناك بعضُ الأمراضِ الاجتماعيَّةِ التي انتقلتْ إلى المسلمينَ من الهندوس؛ إذ تفشَّتِ الطبقيَّةُ داخلَ الحَيّزِ الإسلاميّ، فتعاظَمَتِ الفُرقةُ بين ما يُسمَّى بالطبقةِ العُليا من المسلمين، وطبقةِ الباسماندا (الأضعفِ اقتصاديًّا من الحِرَفيّينَ والرُّعاةِ وغيرِهم)، حيث يزدادُ الشعورُ السلبيُّ من تلك الطبقةِ ضدَّ "العُليا" المُفترضةِ من المسلمين، وهو ما عمِلَ على تضخيمِه الحزبُ الحاكمُ لاستقطابِ هؤلاء بعيدًا عن الجسدِ الإسلاميّ، إلى الحدِّ الذي جعلَ الحزبَ يُؤكِّدُ على كوادرِه تجنيبَ هذه الطبقةِ التمييزَ -نسبيًّا- ضدَّها؛ لتوسيعِ الشِّقاقِ بينهم وبين بقيَّةِ المسلمين، واستقطابِهم

نحو الحزبِ الذي يدَّعي دفاعَه عن تلك الطبقةِ المُهمَّشةِ من المسلمينَ أنفسِهم! فيستفيدُ الهندوسُ من ذلك في الانتخاباتِ وغيرها، هذا عِلاوةً على ما يَنْجُمُ عن ذلك من ضياعِ لُحمةِ المسلمينَ وذَهابِ رِيحِهم في كلِّ مواجهةٍ.

وهناك عجزُ الهيئاتِ الإسلاميَّةِ عن صياغةِ وَحْدَةٍ حقيقيَّةٍ للمسلمين، على غرارِ ما قد نجحتْ فيه بعضُ الأقليَّاتِ المسلمةِ في إفريقيا وآسيا، من إنشاءِ مجلسٍ موحَّدٍ للمسلمين، يتحدَّثُ باسمِ جميعِ المسلمين، ويَحْظى باحترامِ القوَّةِ الإسلاميَّةِ برُمَّتِها.

ومن الخارجِ: هناك الضَّعفُ العامُّ للمسلمينَ في العالم، وغيابُ التنسيقِ مع هيئاتِهم ومؤسَّساتِهم الدُّوليَّةِ والإقليميَّةِ المختلفة، لا سِيَّما مع تفجُّرِ الأوضاعِ في أكثرَ من بُقعةٍ، أَشْغَلَتِ المسلمينَ في العالمِ بعضَهم عن بعضٍ، بعد أن اتَّسَعَ الخَرْقُ على الرَّاقِعين.

وهناك التنسيقُ والتخادُمُ الكبيرُ بين الهندِ والكيانِ الصهيونيِّ، الذي جعل من "إسرائيل" غطاءً دوليًّا للهندِ وجرائمِها، ومُشجِّعًا على مزيدٍ من تحقيقِ التكامُلِ بينهما في ضَرْبِ مفاصلِ القوَّةِ الإسلاميَّةِ في العالم، خصوصًا بعد المساندةِ القويَّةِ من الهندوسِ للصهاينةِ في عمليَّةِ تدميرِ غزَّة.

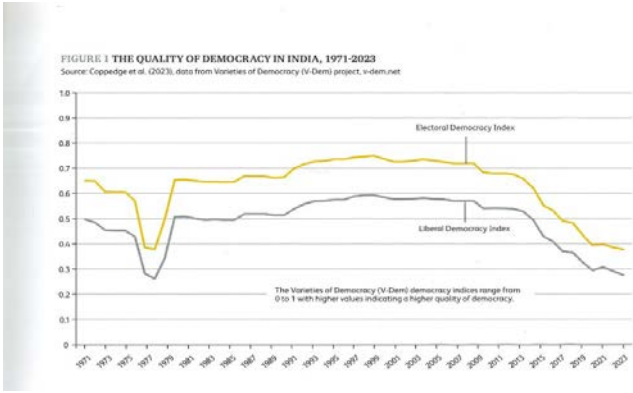

(مؤشر الديمقراطية "أعلى" ومؤشر الليبرالية "أسفل" في الهند؛
إذ يبدوان مُنحدرَيْنِ بعد تولّي مودي للسلطة) ١

وهناك تراجُعٌ في مؤشّراتِ الديمقراطيَّةِ وحقوقِ الإنسانِ في العالم، والذي لم يجعلْ نفسَه مهمومًا بانتهاكاتٍ هنا أو هناك، وبخاصةٍ أنَّ ما تمَّ هدمُه من مساجدَ في كلٍّ من سوريا وفلسطين واليمن والعراق، يفوقُ -كلٌّ منها على حِدَةٍ- ما تمَّ هدمُه في الهند، بحجمها الكبير وجغرافيَّتها الواسعة. كما أنَّ عمليَّاتِ القتلِ في كلٍّ من تلك الدول تفوقُ -بمراحلَ- كلَّ جرائمِ نظامِ مودي، رغمَ بشاعتها؛ ما أفسحَ المجالَ لنظامِ مودي لارتكابِ جرائمِه وتسريعِها بتلك الوتيرةِ التي لم تكن متاحةً بهذا القدرِ من قبل، من جهة، ومن جهةٍ أخرى، تغليب القوميَّةِ الهندوسيَّةِ على علمانيَّةِ الدولة،

١ ورقة بحثية في العدد الحالي من مجلة آسيا العالمية: راهول موخارجي/ الانحدار والمرونة في الديمقراطية الهندية اليوم – ص٤٩

والمساواةِ الظاهريَّةِ بين دياناتِ وطوائفِ الهند، وإنهاءُ الهويَّةِ النهرويةِ الغاندية، لحسابِ خطابٍ وممارسةِ "الهندوتفا" المتطرّفة.

وهناك القوَّةُ الاقتصاديَّةُ الصاعدةُ للهندوس، وتأثيرُها في إضعافِ المسلمينَ وإسكاتِ أصواتِهم بين الدولِ الإسلاميَّةِ ذاتِها؛ إذ باتت مصالحُ الدولِ الإسلاميَّةِ مع الهند أَولى لديها من الدفاعِ عن حقوقِ المسلمينَ الهنود، حتَّى لو توافرت الحميَّةُ الدينيَّةُ لدى تلك الدولِ للاحتجاجِ على ممارساتِ النظامِ الهندوسيّ المتطرّف!

وهناك الضَّعفُ الشديدُ لنظامَيْ إسلام آباد ودكَّا، وعجزُهما عن تحدّي القوَّةِ الهنديَّةِ الصاعدة، وانشغالُهما بمشاكلَ داخليَّةٍ، تسبَّبَ فيها خضوعُ الدولةِ العميقةِ فيهما للإرادةِ الأمريكيَّةِ، للطرفين، والتأثيرِ الهنديّ للثانية. كما أنَّ العقيدةَ العسكريَّةَ لباكستان كانت تقليديًّا موجَّهةً ناحيةَ العدوِّ الهنديّ التقليدي، وثمَّةَ من يُحاوِل الآنَ -بقوَّة- أن يحرفَها عن هذا المسار؛ فمِن تحرُّشٍ واضحٍ بأفغانستان، إلى جعلِ الأولويَّةِ الأهمِّ للجيشِ الباكستانيّ هي مكافحةُ الإرهاب، ومناهضةُ الحركاتِ الانفصاليَّةِ في بلوشستان ووزيرستان. وكذلك بنغلاديش، التي جعلتْ همَّها الأكبرَ مناهضةَ التيَّارِ الإسلاميّ (في النظامِ السابق، ولا يبدو الأمرُ واضحًا في ظلِّ النظامِ الحالي، الذي لا تَبعُدُ الدولةُ العميقةُ عنه كثيرًا). كما أنَّ الدولتينِ قد أُلهيَتَا بأزماتٍ اقتصاديَّةٍ مفتعلةٍ ومقصودة، وأُرهِنتا عمدًا لصندوقِ النقدِ الدُّوليّ، ووقعتا تحت مِقْصَلَةِ شروطِه

التدميريَّةِ لاقتصادِهما. كما لم تزلِ الدولتانِ العميقتانِ غارقتيْنِ في وَحلِ الفُرقةِ بينهما، محاربتيْنِ لأيِّ مشروعٍ وَحْدَوِيٍّ بينهما، رغم تَوْقِ الغالبيَّةِ العظمى مِن شعبَيْهما لذلك، بما تجلَّى بوضوحٍ أثناء "ثورة" بنغلاديش عام ٢٠٢٤م.

في مقابلِ كلِّ ما تقدَّم؛ فإنَّ الآمالَ لم تتبدَّد بعد، والكثير من الأفكارِ والأعمالِ يمكنُ لأكبرِ كتلةٍ إسلاميَّةٍ في العالمِ أن تفعلَه، بمساندةٍ من إخوانِها في الخارج.

يطرحُ الداعيةُ الهنديُّ البارزُد. ذاكر نايك رؤيتَه حولَ سُبُلِ النهوضِ السياسيِّ بحالةِ مسلمي الهند، وتتخلَّص فيما يلي:

١- "يجبُ على المسلمينَ إنشاءُ حزبٍ آخر، حصريًّا، للمسلمينَ فقط".

٢- "يجبُ على هذا الحزبِ السياسيِّ أن يتعاونَ مع الأحزابِ السياسيَّةِ الأخرى التي ليستْ فاشيَّةً ولا طائفيَّةً".

٣- "مثلُ هذا الحزبِ السياسيِّ الإسلاميِّ يجب أن يتعاونَ مع الداليت[١]، الذين هم في الواقعِ ليسوا هندوسًا؛ ليُشكِّلوا معًا قوَّةً تُقدَّرُ بنحوِ ٦٠٠ مليون نسمةٍ، ستصيرُ قوَّةً رئيسةً في البلاد".

---

١ الداليتُ هم فئةُ المنبوذين، وتُعدُّ هذه الطبقةُ منبوذةً في الهند؛ لاعتقادهم أنَّها قد خُلِقت من قدمِ "الإله" (تعالى اللهُ عما يقولونَ عُلوًّا كبيرًا)؛ فيُصبحُ النَّبْذُ بها لصيقًا، لا ينفكُّ عن أهلِها أبدًا. وهذه الفئةُ هي الأكثرُ إقبالًا على الدخولِ في الإسلام، من بينِ الطبقاتِ الهندوسيَّة، لعدالتِه ومحاربتِه للعنصريَّةِ والطبقيَّة.

٤- الهجرةُ من الولاياتِ التي تَضطهِدُ المسلمين، كأوتار براديش، التي يُهيمنُ عليها حزبُ "بهاراتيا جاناتا" الهندوسيُّ المتطرِّف، إلى ولاياتٍ أخرى داخلَ الهند "متسامحة"، كمثل كيرالا؛ حيث "إنَّ شعبَ كيرالا ليس طائفيًّا بطبعِه، يعيشُ أتباعُ الدياناتِ المختلفةِ في وئام، ولا يوجدُ احتكاكٌ بين الدياناتِ المختلفة"، ثم بومباي وحيدر آباد. وكذلك الهجرةُ داخلَ المدنِ إلى أحياءٍ يغلبُ عليها المسلمون (وهي في الغالبِ أحياءٌ فقيرة)، كما في بلدتي دونجري وبيكولا في مومباي كخيارَيْنِ، مؤكِّدًا على ارتفاعِ عددِ المسلمين في هذه المناطق.

٥- إعادةُ النظرِ في مسألةِ القيادةِ العامَّةِ للمسلمين؛ لأنَّ "المسلمينَ الهنودَ يفتقرونَ إلى القيادةِ السياسيَّة".

٦- إعلانُ العددِ الحقيقيِّ للمسلمين؛ لإشعارِ المسلمينَ بحجمِهم (في تقديرِه ما بين ٢٥٠-٣٠٠ مليونًا في العام ٢٠١٧م – أي في حدود ٣٠٠ مليونًا الآن على الأقل)[١].

---

١ ترجمة مجلة ذا ويك، لكلمة د. ذاكر نايك على موقع يوتيوب بعنوان: (Solution to Overcome the Harassment and Oppression of the Muslims in India by the Fascist BJP Govt.) أو (الحلُّ للتغلُّبِ على المضايقاتِ والقمعِ الذي يتعرَّض له المسلمون في الهند، من قِبَلِ حكومةِ حزبِ بهاراتيا جاناتا الفاشيَّة). (٢٠٢٠/٨/٢١م)
https://www.youtube.com/watch?v=VKsCAyAV٦EA

والحقيقةُ أنَّ فيما يطرحُه د. ذاكر نايك ما يستحقُّ أن يُوضَعَ على طاولةِ النقاشِ بين المسلمين، ليس في الهند وحدَها[1]، ولكن أمامَ قادةِ الفكرِ من المسلمينَ في العالم، الذين يتعيَّنُ عليهم أن يُنضِجُوا مشروعًا نهْضَوِيًّا للمسلمين، أو يضعوا لَبِناتِه، في بلدٍ مهمٍّ كثيرًا للمسلمين، يُمثِّل نحوَ ١٤٪ من تَعدادِهم في العالم.

١ لعلَّ من بينِ أبرزِ ما حدا بالهندِ إلى ملاحقةِ الداعيةِ ذاكر نايك في كلِّ الدولِ التي لجأ إليها تقريبًا، هو خشيتُها من شعبيتِه، وما يطرحه من أفكارٍ تهدفُ إلى النهوضِ بالمسلمينَ في الهند، وهي أكثرُ ما تخشاه من بينِ علماءِ ودعاةِ الهند؛ أن يُولَد من بينهم زعيمٌ سياسيٌّ يَسْتأثِرُ بألبابِ جماهيرِ المسلمين، ويقودُهم إلى المطالبةِ بحقوقِهم. ولذا؛ تظلُّ حريصةً على وأْدِ أيِّ محاولةٍ لبناءِ تلك الزعامةِ من بينِ العلماءِ والقادةِ السياسيين، وما أمرُ د. أسد عويسي عن ذلك ببعيد.

وَبَعدُ..

فإن القضية الهندية هي قضية أبنائها أولًا ثم قضية المسلمين جميعًا، إذ لابد من ارتباط أطراف العالم الإسلامي بعضه ببعض، ديانةً واستراتيجيةً؛ فالدين يفرض ذلك، كما الواقع يحث عليه. ولقد تبين أن المؤثرات السياسية على واقع المسلمين في الهند كثيرة، بعضها يتعلق بالمسلمين الهنود أنفسهم، من خلل في العقيدة متمثلة في وجود كثير من الفرق المنحرفة بعشرات الملايين، وشيوع البدع والخرافات، ومن رقة في دين الكثير من المسلمين هناك، وقلة الوازع الديني، الناجم عن قصور في التعليم الديني والدعوة والوعظ، ووجود فجوة أحيانًا بين أهل العلم وعامة الناس، وضياع الأولويات، وانفصام عرى الأخوة الإيمانية بين قطاعات من المسلمين، امتدت إليهم عدوى الطبقية من الهندوسية والديانات الهندية القديمة، حتى أمكن لمتطرفي الهندوس أن يفرقوا بين فئات من المسلمين، ومن ذهاب ريح المسلمين، وضعف تمثيلهم السياسي، وأدائهم، وهشاشة اقتصاداتهم إلى غير ذلك، فيما الاستراتيجية الهندوسية واقعة عليهم آلياتها، من هدم لمساجد، ومصادرة لمدارس، وتأميم للأوقاف، وتهميش سياسي، وهضم للحقوق، وتحريض الإرهابيين الهندوس عليهم، سن قوانين جائرة عليهم تصادر خصوصيتهم الدينية، وتشنيع عليهم في كل سبيل،

وإطلاق سيول من الشائعات عليهم في بلد يحتل المركز الأول في شائعات وسائل التواصل في العالم، ثم من صمت دول العالم الإسلامي، واحتفاء بعضهم بساسة التطرف الهندوسي، وتشجيعهم على النيل من المسلمين وقهرهم.. في سلسلة لا تنتهي من التحديات التي أفرزتها غفلة وانكشاف وقلة بصيرة من معظم حكام الهند المغول، وكثرة من أهل الرأي فيها.

والحل، يبدو بعيدًا لكنه ليس مستحيلًا، وبين طيات هذه الورقات، بعضٌ من الأفكار التي صاغها مفكرون وعلماء وساسة هنود مسلمون، لعل منها ما قد ينتفع به منتفع، أو يتذكر بها متذكر، ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

والله نسأل أن يلهم مسلمي الهند الرشد والسداد والتقوى وحسن السياسة، وأن يوحد صفوف الأمة الإسلامية ويعلي كلمة الحق في بلاد الإسلام، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الفهرس

المُقدّمَة ٦

(١) جُذورُ المُشكِلَة ١٠

(٢) التَّقْسِيمُ والقتلُ والتَّهْجِيرُ ١٦

(٣) التَّفْكِيكُ والتَّنْحِيَةُ ٢٣

(٤) الخُطَّةُ والتَّنْفِيذُ ٢٦

(٥) حَاضِرُ المُسلِمِينَ ٣٢

(٦) تسلُّط الشَّعْبَوِيَّةِ الهندوسِيَّةِ ٣٨

(٧) أبرزُ القُوى الإسلامِيَّةِ ٤٣

(٨) تَحَدِّياتٌ وآمَالٌ ٥٥

وَبَعدُ ٦٢

الفهرس ٦٤